قصص الأنبياء

للأطفال

تأليف الكاتب الإسلامي

الشيخ/ بكر محمد إبراهيم (أبو هيثم)

الناشر

مكتبة القدسي

للنشر والتوزيع

مكتبة القدسي
للنشر والتوزيع

٧٤ ش البستان ـ عابدين ـ القاهرة

ت : ٣٩٢٥٦٨٨

الطبعة الأولى

١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠م

تطلب مطبوعاتنا

من

مركز توزيع الكتاب الإسلامي

٢ درب الأتراك ـ خلف الجامع الأزهر

القاهرة ـ ت : ٥١٢٣٦١١

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله ولى الصالحين والصلاة والسلام على خير المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ورضى الله عن أزواجه وذريته الطيبين الطاهرين .

أشهد أن لا إله إلا الله إله الأولين والآخرين .

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول رب العالمين .

وبعد، فقصص الأنبياء تحمل العظات والعبر والدروس القيمة والعبر تحكي سيرة خير البشر أنبياء الله الذى اصطفاهم ليكونوا مبشرين ومنذرين للبشر. وصفهم على عينه وأمدهم بالمعجزات الباهرات والآيات البينات للدلالة على صدقهم . ورباهم فأحسن تربيتهم .

وعصمهم من الزلل ومن الذنوب كبارها وصغارها . منهم القدوة والمثل وأنزل عليهم الكتب. فمن اتبعهم نجا وفاز بخيرى الدنيا والآخرة. ولكل قصة من قصص الأنبياء لون خاص فقصة يوسف عليه السلام سماها الله تعالى أم القصص وجعلها فى سورة واحدة متصلة الحلقات فى تتابع ونظام. وإسلوب يأخذ بمجامع القلوب والأسماع .

وقصة موسى عليه السلام تبدأ بميلاده كما حكته سورة القصص وما تعرض له من الفتون والإبتلاء . وكيف ارسله الله تعالى إلى واحد من أكابر المجرمين فرعون الذى كان ملكا على مصر وما جاورها وكان صاحب سلطان واسع ودولة مترامية الأطراف وحضارة ضاربة فى اعماق التاريخ وكيف

نصره الله عليه ونجاه وبنى إسرائيل . وهو النبى الذى كلمه الله .

وعيسى عليه السلام روح الله وكلمته التى ألقاها إلى مريم ومعاناته مع بنى إسرائيل ومحاولة قتله من اليهود الرومان ثم رفع الله تعالى له .

إلى غير ذلك من القصص الشيق الممتع الذى كتبناه بإسلوب مبسط يلائم الطفل المسلم. نفع الله به أطفالنا وجعله فى ميزان حسناتهم وحسناتنا وجعله خالصا لوجهه الكريم وتقبله بقبول حسن.

والحمد لله أولاً وآخراً.

المؤلف

آدم عليه السلام

قبل الخلق:

قبل الخلق والخليقة .. قبل وجود الأشياء والناس . منذ بلايين السنين لم يكن سوى (الله تعالى) الواحد الأحد الفرد الصمد .

ثم أراد الله تعالى أن يخلق المخلوقات والناس. وأن يمنحهم الوجود والحياة وصفات الله تعالى قديمة وهو سبحانه وتعالى خالق قبل أن يخلق أى متصف بصفة الخالقية قبل أن يخلق الخلق وإذا ضربنا مثلا ولله المثل الأعلى فإن الشاعر يكون شاعراً قبل أن يقول الشعر ولو لم يكن شاعراً أى متصفاً بصفة الشاعرية لما قال الشعر وهكذا والله سبحانه وتعالى ليس كمثله شئ وهو السميع البصير .

وصفات الله تعالى وإن اتحدت بعض صفات المخلوقين معها فى الإسم إلا أن صفات المخلوقات لا تشبه ولا تماثل صفات الله تعالى فليس سمعنا كسمعه تعالى وليس بصرنا كبصره تعالى وليست رحمة الرسول ﷺ ورأفته مثل رحمة الله ورأفته . والفرق بين صفات الله تعالى وصفات المخلوقين كالفرق بين ذات الله تعالى وذات المخلوقين .

لعل هذا البيان يوضح لك بنى العزيز مسألة الصفات .

خلق الله تعالى السموات والأرض والسحر والحسد والبر والملائكة والجن والإنس وأبوهم آدم عليه السلام وخلق قبل آدم الحيوانات والحشرات والنباتات والأسماك والحيوانات البحرية وكثيراً من الخلق مما نعلمه ومما لا نعلمه.

وجعل الله سبحانه وتعالى آدم وبنيه سادة المخلوقات وخلق الكون كله صخراً للإنسان الخليفة الذى يخلف بعضه بعضا فى عمارة الأرض وكلفهم وكلف الجن بتكليفات ورتب الجزاء من ثواب وعقاب على هذه التكليفات. فما هى قصة أبينا آدم عليه السلام وكيف خلق ومما خلق وما هى قصة الشيطان معه وأين سكن وغير ذلك مما ورد ذكره فى القرآن العظيم وسنة النبى الكريم ﷺ .

أرسل الله ملكا قبض قبضته من طينة الأرض بكل عناصرها وألوانها ثم سواها فى الصورة التى عليها البشر فى أحسن تقويم وجعله بحيث يمشى مستوى القامة على قدميه بينما خلق الحيوان يدب على أربع يديه ورجليه وكرمه بالعقل والعلم وأسجد له الملائكة. وكان أكبر تشريف لآدم أن خلقه الله تعالى بيده ولم يخلقه بكلمة كن. فكل المخلوقات خلقت بكلمة كن إلا آدم والعرش والجنة خلقت بيد الله سبحانه وتعالى .

كانت صورة آدم وهو فى الطين كالتمثال الجامد .. لاحس فيها ولاحراك .. حتى نفخ الله فيها من روحه . ونسب الله تعالى روح آدم إلى نفسه تشريفاً لها وتعظيما كما يقال بيت الله وناقة الله وقوله تعالى عن مريم فنفخنا فيها من روحنا تشريف لروح عيسى ولشخصه عليه السلام .

ومن خلق آدم بأطوار من تراب إلى طين إلى حمأ مسنون (طين متعفن) إلى صلصال كالفخار قبل نفخ الروح فيه. وقد ذكرت الأحاديث النبوية وكما روى ابن كثير وابن جرير أن طينة آدم القيت على باب الجنة أربعين سنة ينظر إليها الملائكة وإبليس الذى كان يسمى عزازيل .

يقول تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢)﴾ [ص]

وكان الله تعالى قد وضع قوانين الحياة، ومنها العلم والمعرفة والإستمرارية عن طريق التناسل والتكاثر .. فعلم آدم الأسماء وكثيراً من العلوم والمعارف ثم

طلب من الملائكة أن يخبروه بها فقالوا: **﴿سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾** [البقرة: ٣٢] فأمر آدم أن يخبرهم بها فأخبرهم .

أمر الله الملائكة بالسجود لآدم :

ثم أمر الله تعالى الملائكة أن يسجدوا لآدم فسجدوا .

ومسألة السجودكثر فيها الكلام ولحسم الخلاف فيها نقول :

أولا : إن السجود كان مباحاً في الأمم السابقة للملوك والآباء والأكابر .

ثانياً : كان السجود على هيئة إحناء الرأس أو إحناء الظهر فكان اشبه بالركوع ولم يكن بوضع الجبهة على الأرض فإن ذلك لا ينبغى إلا لله تعالى .

وقد ذكر في سورة يوسف أنه رأى الشمس والقمر له ساجدين وفى أواخر السورة ورفعه أبويه على العرش وخروا له سجدا .

ثالثاً : إن السجود لغير الله وبكافة صوره قد نسخ فى شريعتنا أى ألغى وحرم.

رابعاً : إن السجود من الملائكة لآدم كان على سبيل التحية والتكريم وللعلاقة والرابطة التى ستربط بينهم وبينه كما هو معلوم من الدين .

خامساً : إن هذا السجودكان بأمر الله تعالى فهو طاعة لله والله تعالى له الخلق والأمر ولا يسأل عما يفعل .

سجد الملائكة وبادروا إلى تنفيذ أمر الله تعالى إلا إبليس رفض واستكبر حقداً على آدم وحسداً له وإعجاباً بنفسه . وكان إبليس من الجن ففسق عن أمر ربه فسأله الله تعالى عن سبب ذلك وهو أعلم فقال: **﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ (١٢)﴾** [الأعراف] وظن إبليس أنه يعرف الخيرية والمفاضلة بين العناصر والأشياء جهلاً وغروراً.. وهذا يسمى قياس وهو قياس فاسد كما يقول العلماء لأنه قياس مع وجود النص الصريح

الذى لا لبس فيه «بالسجود» بل كان الأمر من الله مباشرة. وإبليس لعنه الله هو أول من قاس هذا القياس الفاسد .

فأخرجه الله من رحمته ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٣٤)﴾ [الحجر]

﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ (٧٨)﴾ [ص]

ويقول تعالى :

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ (٣٠) وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ (٣٣) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٣٤) وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٣٥) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (٣٦) فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣٧) قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٣٩)﴾ [البقرة]

إبليس من المنظرين :

وطلب إبليس من الله تعالى أن ينظره (يؤخره) إلى يوم القيامة، ولا يقضى عليه بالموت.. كما أعلن بين يدى الله تعالى أنه سيكون خصما عنيداً لآدم وذريته.

فانظره سبحانه وتعالى قائلاً ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [ص]

خلق حواء

واستيقظ آدم من رقدة رقدها فإذا بجانبه حواء خلقها الله تعالى من ضلع من أضلاعه. والأصل أن الإنسان فى الجنة لا ينام. فسألها آدم : من أنت؟ فقالت أنا حواء خلقت منك وأنا زوجك وأمرأتك فحادثها وحادثته وسربها سروراً عظيما وأنس بها وأنست به. وارتاح كل منهما للآخر ومال إليه وأحبه .

آدم وحواء فى الجنة :

أسكن الله تعالى «آدم» الجنة هو وزوجه حواء. وفى الجنة النعيم والرفاهية والراحة والرخاء والسرور والسعادة والسلام وفيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

ونهاهما ربهما عن الإقتراب من شجرة بعينها . وذلك ليدربهما على التكليف ويكشف لهما عداوة الشيطان ويعلمهما المخرج من الذنوب بالتوبة لأنه سبحانه وتعالى أعدهما وذريتهما لسكنى الأرض وعمارتها كما قال تعالى ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ [طه] وكما قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة]

وسوسة الشيطان لآدم وحواء :

وعاش آدم وحواء فى الجنة فى رغد ونعيم يروحان ويغدوان فى ظلالها وبين أشجارها يأكلان من ثمارها. ويشربان من مياهها، ويستمتعان بنعيمها. وبينما هما فى تجوالهما هنا وهناك .. وصلا قريبا من الشجرة التى حرمها الله عليهما.

ونهاهما عنها. فإذا بإبليس اللعين يوسوس لهما ويحضهما على الأكل من الشجرة ويحفـزهما إلى المعصـية ويبرر لهمـا ويغريهمـا ويهون عليهمـا الإقدام على هذه المـعصـية فتـرددا أولا وحاولا الهـروب والابتـعاد . لكن إبليـس كرر مـحاولتـه مستخدماً كل حيله ومكره وإثارته وإغرائه.. فـقال: إن ربكما قد نهاكما عنها لأنها شـجرة الـخلد والملك الذى لا يبلى، ولا يزول ويفنى.. فـنسى آدم نهى الله له عن الأكل من الشـجرة وهو نهى.. واحـد أى تكليف بأمـر واحد وانـطلت عليه حـيلة إبليس التى وافـقت رغـبـتـه فى الخلد والملك وتأول أن النهـى الألهى له لم يكن قاطعا ووافقته حواء أو هى التى رغبت فى المـعصية أولاً. والقرآن قد سوى بينهما فى المسئولـية ونسب المعصية إليهـما معاً ونسب الشقاء الكبـير والكدح والسعى فى الحـياة الدنيـا إلى آدم. قال تعـالى ﴿**فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ** (١١٧)﴾ [طه]

فلما أكلا من الشـجرة طارت عنهما ملابس الجنة وكانت من حـرير.. وأحسا بسوء فعلهما وبدت لهما عوراتهما. وأحسا بالخجل من الله وندما وخافا من سوء عاقبة مـا فعلا.. وأخذا من ورق شجرة يغطيـان سوآتهما: ﴿**وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ** (١٢١)﴾ [طه]

أى يلصقان من ورق الجنة على العورات .

العتاب والطرد والتوبة :

عاتب الله تعالى آدم وحـواء عتاباً شديداً على ما فعـلا من المعصية وما اقـترفا من ذنب وما نسـيا من عداوة الشيطان ومـا أنتهكا من حرمـة المخالفة . فـأخذ آدم يعتـذر إلى الله تعالى مبـديا ندمه واعتـرافه بذنبه مـعلنا توبته واستـغفاره فـعلمه الله تعالى كلمات يتوب بها وتاب عليه وغفر له ولكنه سبحانه امره بالخروج من الجنة

والهبوط إلى الأرض. حيث يكون له ولذريته من بعده مستقر ومتاع إلى حين حتى تقوم الساعة ويردون الله ربهم وخالقهم ورازقهم وأعلمه سبحانه وتعالى أنه ينزل عليها رسالة ومنهجا له ولذريته وتكون الأرض مأوى له ولزوجه وذريته وللشيطان والجنة التى ساعدت إبليس على دخول الجنة ومكنته من الوسوسة لآدم وزوجه. وأعلمه باستمرار عداوة إبليس له ولذريته من بعده وأن من اتبع هدى الله فلا يضل ولا يشقى وأن من يعرض عن أمره فإن له معيشة ضنكا ويحشره يوم القيامة أعمى. لأن من يدافع الشيطان ويعصيه ويطيع الرحمن ويتقيه فإنه ستكون عاقبته إلى الجنة ورحمة الله .

أول اسرة بشرية فى الأرض :

وعانى آدم وحواء فى الأرض متاعب الحياة الدنيا وأحسا بالجوع. والعطش، والحر والبرد، والخوف والتعب.. والصحة والمرض كما أحسا بالدفء والشبع ولذة الرقاد .

إذا لابد فى الدنيا من الكد والكدح والعمل والعرق والمجاهدة والشقاء والتحمل والصبر، والسعى لمواجهة أعباء الحياة وعداوة الأعداء من الوحوش المفترسة والسباع والحيات وتحصيل الأقوات بالصيد أو الزراعة والصناعة وحياكة الثياب وبناء البيوت وإعداد الطعام والشراب وتربية الأبناء. فقد ولد لحواء توأمان.. ذكراً وأنثى (فى بطن واحدة) فرح بهما أبوهما وأفرغا عليهما العطف والشفقة والحب والحنان .

وبعد سنة أخرى ولدت حواء ذكراً وأنثى آخرين وضعتهما معاً.

واشترك آدم وحواء فى تربية الأبناء وتوفير أسباب الحياة وتعليمهم منهج الله وسبل العيش والإرتزاق .

ترصد إبليس لأبناء آدم :

وكـان إبليس يتـرصـد ويـرقب أبناء آدم ليـضلهم عن سـبـيل الله لـيكونوا من أصحـاب السعـير، وأخـذ الشيطان يتـفنن ويبتكر الـحيل لخداع الـبشر وإقنـاعهم بالمعصية وتبريرها وتهوينها. ومن يتردد عن المـعصية يمنيه بأن يتوب بعد اقترافه للذنب .

وإبليس عليه لعنة الله يبدأ بتزيين الكفر والشـرك فإن عصاه الإنسان أخذ يغريه بالكبائر فإن عصاه أغراه بالصغائر، فـإن عصاه وتأبى عليه الإنسان اغراه بالإنهماك بالمباح ليشغله عن الـمستحبات والفرائض فإن تأبى عليه واسـتعصم اغراه بالبدع وهى أحب اليه من الكبائر لأن مرتكب الكبيرة مثل السرقة والغيبة والنميمة يعرف أنه عاصى وقد يتوب أمـا مرتكب البدعة فهو غالبـاً يظن أنه على صواب ونادراً ما يتوب وهو يحسب أنه يحسن صنعاً لأن البدعة طريقـة مخترعة فى الشرع تضاهى أى تماثل الشريعة وليست منها لأنها إما مخترعة وإما أضافية لمن يزيد على الأذان الشرعى كلاماً آخر ومن يحتفل بأعياد لم تشرع فى الإسلام .

وكان آدم علـيه السلام قـد سمى بكره الذكـر «قابيل» وسـمى المولود الـثانى «هابيل» ومع مرور السـنين كبر الأولاد فـشبوا ومـارسوا النشاط مع أبيـهم وكانت الفتاتان يعملان مع أمهما فى تدبير المنزل، وكـانت تبدو عليهما علامات الجاذبية والجمال. وكان قابيل وهابيل يتنافسان على إرضائهما. واكتساب مودتهما .

كانت الفـتاة البكر التى ولدت توأم «قابيل» أجـمل من أختهـا توأم هابيل وقد بلغت مـرحلة الشبـاب والفـتوة والنضـوج: فكانت تمـيل بقلبـها وعـواطفهـا إلى «هابيل» وهو أيضا يحبها. وأخذ إبليس يبث مشـاعر الحقد والحسد. فكما تسبب فى إخراج آدم من الجنة فلحـقه عناء الدنيا ومـشقتهـا وخشونة عـيشها فـضلاً عن

غضب الله ولولا أن الله تعالى تدارك آدم برحمته ولقاه كلمات التوبة ووفقه إليها لكان من الهالكين .

فها هو ذا يكرر المكر مع قابيل فيهدد أخاه ويتوعده ويصمم على الزواج من توأمته مخالفا شريعة الله التى أوحاها إلى آدم عليه السلام .

القربان :

وأراد آدم أن يحسم الخلاف بين ولديه ويردهما إلى شرع الله فعلمهما أن يحتكما إلى الله بأن يقدم كل منهما قربانا إلى الله تعالى فمن أحرق قربانه أو رفع إلى السماء دل ذلك على تقبل الله سبحانه وتعالى لقربانه وحكمه أنه على الحق. ومن لم يتقبل منه قربانه دل على أنه على الباطل وكان قابيل مزارعاً يقتات من الزراعة والفلاحة فجمع بعض النباتات ووضعها على باب داره . أما هابيل فقد قدم كبشا سمينا أقرن من خير غنمه وأكرمها .

ومع ظهور أنوار الفجر. كان قربان هابيل قد وقع موقع الرضى ورفع إلى السماء. أما حشائش قابيل فقد ذبلت وذوت. وردت عليه ولم تقبل منه. لأن الله تعالى لا يتقبل إلا من المتقين .

وعندما رفض قربان قابيل أخذ إبليس يوسوس فى صدره وملأه بمزيد من الحقد والحسد وأغواه واقنعه أن يقتل أخاه الصالح ويرفض أمر الله فاضمر الشر لأخيه ليزيحه عن طريقه ويخلو له قلب أخته توأمته وعلمه إبليس أن يرتكب أبشع حادثة وأشنع جريمة يرتكبها الإنسان فى حق أخيه فقتله وسفك دمه ظلما وعدوانا بغير حق كما حكى القرآن: **﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٢٧) لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (٢٨) إِنِّي أُرِيدُ**

﴿أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (٢٩) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٣٠) فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ (٣١) مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾

[المائدة]

أول قتيل فى التاريخ :

ترصد قابيل أخيه حتى نام وقام إلى صخرة عظيمة فأمسكها بين يديه وألقاها على رأس أخيه النائم فحطم رأسه وازهق روحه بوحى من الشيطان فتحقق بذلك النصر الثانى للشيطان على آدم وذريته وسعد الشيطان بنجاح مسعاه وفرح بما أقدم عليه قابيل أشد الفرح .

أما قابيل فنظر إلى أخيه فأحس بعظم الجناية التى جناها فى حق أخيه، فاضطربت نفسه وتلاحقت أنفاسه وأحس بفقد أخيه وعضده كيف لا وقد ارتكب جريمة هائلة لم يسبق إليها، وعصى الرحمن وأطاع الشيطان، وعق أباه وأمه وحطم قلبيهما وظلم أخاه وفقد بذلك أخاً صالحاً لم يسيئ إليه إساءة. فأصبح من الخاسرين وحار فى جثته ماذا يصنع فيها والطيور الجارحة تنقض عليها لتأكلها فحملها على ظهره وهام على وجهه حائراً مرتبكاً حتى بعث الله إليه غراباً علمه كيفية الدفن عندما قتل طائراً وحفر له فى الأرض بأظافره ودفنه وقابيل ينظر إليه متعجباً فأحس بالندم أنه لم يهتد إلى ما علمه الغراب. فدفنه وواره التراب وهام على وجهه هارباً من أبيه وأمه وقد سبب لهما جرحاً لا يندمل إلى آخر رمق فى الحياة .

وبذلك صار يتحمل وزر كل جريمة قتل وقعت بعده وإلى يوم القيامة كما قال رسول الله ﷺ ما فعلت نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها. (أى نصيب من الوزر) لأنه أول من سن القتل .

ومضت أحقاب السنين بـ آدم وحواء وعاشا ماقدر لهما الله تعالى ومن المعلوم من حديث رسول الله ﷺ أن عمر آدم كان الف سنة وكثرة ذرية آدم وانتشرت فى البلاد واتسعت مسئوليات آدم فى توجيه ابنائه وتلقينهم شريعة الله وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ووصايتهم بعبادة الله وحده وتقواه .

ولما أحس آدم بدنو أجله وصى أحد ابنائه وهو شيث عليه السلام بالقيام بالأمر من بعده حسبما أوصى إليه ربه .

شعيب عليه السلام

كان حزن آدم وحواء على ولديهما الصالح هابيل عظيما فقضيا وقتا طويلاً يتأسفان على فقده .

ولكن الله تعالى الذى أكرمه بالعقل والعلم وخلقه بيده وأسجد له ملائكته وغفر ذلته. لم يتركه فريسة للحزن والألم على هابيل فعوضه عنه بشيث عليه السلام وأكرمه بالنبوة واسم النبى (شيث) معناه «هبة الله» .

نبوة شيث عليه السلام :

عاصر آدم عليه السلام وعايش آلافا من ذريته من الأبناء والأحفاد وأحفاد الأحفاد.. وكانت الأعمار فى ذلك الزمان طويلة مديدة، وقبل وفاة آدم عليه السلام أوصى إلى ولده شيث ليقوم بالأمر بعده ويرعى تلك البشرية ويكون لهم اماماً ومعلماً ونبياً وهكذا شاء الله برحمة منه وفضل أن تستمر النبوة والإمامة فى ذرية آدم إلى أن ختمهم بنى آخر الزمان رسول الله محمد ﷺ . وأما بعد وفاة الرسول ﷺ فلا نبى بعده وإنما يقوم بالأمر العلماء فهم ورثة الأنبياء فى علمهم وكتاب الله القرآن بين أيديهم وسنة الرسول ﷺ إلى ما شاء الله .

صحف شيث عليه السلام:

روى «أبو ذر الغفارى» رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله أنزل مائة صحيفة وأربع صحف، على شيث خمسين صحيفة» .

وقد عمل شيث عليه السلام بما فى تلك الصحف وبلغها للناس وقام بالأمر، ورعى شئون الأفـراد والجماعات بما ينفـعهم فى دينهم ودنياهم حتى استـقام أمر الناس .

وفاته عليه السلام :

وعمـر شيث عـليه السـلام عمـرا طويلاً حيث تكاثر الناس . واتسـعت رقـعة العمـران فى عهده. وقـد أرسى النظم والقواعـد لإصلاح من يأتى بعـده. ثم فارق الدنيا وجاء أجله وتلك سنة الله تعالى فى خلقه .

إدريس عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا (٥٦) وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا (٥٧)﴾ [مريم]

نبوة إدريس عليه السلام :

استمر النخبة من أبناء شيث عليه السلام من العلماء والصالحين يقومون على أمر الناس حتى بعث الله إدريس عليه السلام نبياً. وهو من أحفاد شيث عليه السلام. فكان إدريس ثالث الأنبياء بعد آدم وشيث عليهم الصلاة والسلام .

ما اختص الله به إدريس :

ألهمه الله تعالى الكتابة والخط ولم يكن فى زمانه الواح وأقلام فكان يخط على الرمال ما يريد إبلاغه للناس. ثم بعد ذلك عرف الناس الكتابة على الألواح والعظام وأوراق الشجر والجلود إلى أن آلت أدوات الكتابة إلى أوراق البردى ثم الأوراق الحديثة التى نستعملها الآن: وتطورت الأقلام إلى ما نعرفه ونستعمله الآن وكذلك المداد. وكان الفراعنة يكتبون على الأحجار فتبقى كتابتهم حتى الآن تحكى تاريخهم وعقائدهم وعاداتهم وتقاليدهم.

وألهم الله تعالى نبيه إدريس عليه السلام الحكمة فى التنقل والأسفار والعمران حيث انتشر الناس وتوسعوا فى سكنى الأرض شرقاً وغرباً طلبا للماء والعشب والأمان، وإقامة القرى والبلاد الجديدة مع زيادة عدد السكان فكان إدريس عليه

السلام لا يستقر فى مكان، يؤم الناس وينظم شئونهم ويدعوهم إلى الله تعالى ، ويدبر شئونهم ، ويثبتهم على الصراط المستقيم ومنهج الله تعالى ليحققوا الفلاح فى الدنيا والآخرة .

فى مصر

روى المؤرخون أن إدريس عليه السلام قد نزح إلى مصر فتره من الزمان وأقام مدة طويلة فى صعيد مصر مع طائفة من أتباعه فاستقروا على ضفاف النيل يستصلحون الأرض ويخصبونها ويزرعونها ويرعوا أنعامهم ومواشيهم حيث أرض مصر المليئة بالخيرات وحيث أرضها الخصبة ونيلها الفياض وجوها المعتدل وخضرتها الدائمة .

وفاته عليه السلام :

ولما قربت منيته ووافاه أجله رفع مكانا عليا. قيل أنه قبض فى السماء الرابعة لقوله تعالى: ﴿**ورفعناه مكانا عليا**﴾ فهو علو مكانى وبعض المفسرين يرى أنه مكان معنوى بمعنى المكانة التى هى النبوة فى الدنيا والعلم والحكمة والجنة فى الآخرة. والله تعالى أعلى وأعلم .

نوح عليه السلام

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾﴾ [هود]

دعوة نوح عليه السلام إلى الله:

أخذ نوح عليه السلام يدعو قومه ليلاً ونهاراً فلا يزدهم دعاؤه إلا فرارا وكذبه قومه وعذبوه وسخروا من دعوته وأصروا على الشرك والكفر واستكبروا استكباراً وكانوا يسدون آذانهم بثيابهم وكانوا يقولون له يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين. ولم يسلم معه إلا قليل وبقى الآخرون على كفرهم وعنادهم رغم أنه عليه السلام ظل يدعوهم إلى توحيد الله تسعمائة وخمسين سنة ليردهم إلى دين الأنبياء من قبله. ولم يكن نوح عليه السلام غريبا عنهم فقد كان واحداً منهم أوحى الله إليه بالنبوة ليستنقذ قومه من شراك إبليس وتزيينه، لكن القوم كانوا قد ألفوا الضلالة وأحبوا الضلالة، ورغبوا عن دعوة نوح وسفهوه قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾﴾ [الشعراء]

واجتمع الملأ منهم وتشاوروا فى أمره، فرأى بعضهم أنه أتى ببدعة، ورأى آخرون أن الذين آمنوا مع نوح أراذل القوم وفقراؤهم، ورأى آخرون أن نوحاً عليه

السلام فيه سفاهة وجنون وتواصلا بآلهتهم ﴿وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (٢٣)﴾ [نوح]

وواجهوا نوحاً بهذا الإتهام فقال لهم: ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٦١) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ (٦٢) أَوَ عَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٦٣)﴾ [الأعراف]

كيف كان الشرك فى قوم نوح :

كان «بنو راسب كثيرى العبادة أتقياء صالحين يؤدون حق الله فى العبادة والطاعة بقدر استطاعتهم. وممن كان مشتهراً بينهم بالصلاح والعبادة والتقوى والعدل بين الناس خمسة رجال أحبهم الناس واحترموهم ووقروهم وهم «ود» و«سواع» و«ويغوث» و«يعوق» و«نسرا» . فلما ماتوا جزع الناس لفقرهم جزعاً شديداً ، وحزنوا لفراقهم غاية الحزن وأسفوا اسفا بالغا. فوسوس لهم الشيطان أن يصوروا لهؤلاء الصالحين صوراً تماثيل تكون أمام أعينهم دائما ليذكرونهم ولا ينسونهم، وبها يرونهم فلا يغيبون عن أعينهم. ودخل إليهم بمدخل الحب والاقتداء. وأعجب الناس بهذه الفكرة. فكثرت تماثيلهم حتى دخلت بيوتهم ومعابدهم وأنديتهم وأسواقهم وفشى فيهم مظاهر التعظيم والتقديس لهذه الأوثان. حتى وسوس الشيطان لأجيال قادمة منهم أن آباءهم كانوا يتخذون هذه الأوثان لتقربهم إلى الله زلفى وزعم أنهم كانوا يستسقون بها ويدعونها لجلب النفع وكشف الضر .

وهكذا وقع الناس فى شرك الشيطان وعبدوا هذه الأوثان من دون الله تعالى. وكان هؤلاء الرجال الخمسة من قوم إدريس حتى عبدهم قوم نوح . ومن أجل ذلك أرسل الله تعالى إليهم أخاهم نوحا يدعوهم إلى عبادة الله وحده .

تعاليهم على الفقراء والمستضعفين :

وطلبوا من نوح عليه السلام أن يطرد الأراذل المستضعفين الفقراء، وعندئذ يتبعونه . وكان هذا الطلب منهم دلالة على كبرهم وظلمهم واحتقارهم للمؤمنين من الفقراء .. ومعيار التكريم عند الله هو التقوى كما قال تعالى: «إن أكرمكم عند الله اتقاكم». لقد كان مكرهم طبقيا عنصريا. أو لعلهم كانوا يتعللون بهذه الحجة ليبرروا عدم انصياعهم للحق وكفرهم بنوح . فقال لهم: ﴿وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (٢٩) وَيَا قَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ (٣٠) وَلا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ (٣١)﴾ [هود]

أى انى إذا لمن الظالمين إن طردتهم. وقوله تعالى تزدرى أعينكم أى تحتقرونهم. وقد نسى هؤلاءالجاهلون أن الرزق من الله تعالى وأنه يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر أى ويضيق على من يشاء ونسوا أن التضييق فى الرزق لا يعنى بالضرورة الإهانة والهوان من الله تعالى ولكن الله يختبر عباده فى الرزق لينظر كيف يفعل الأثرياء فى أموالهم هل يؤدون حق الله فيها ويشكرونه بعطفهم على الفقراء ومواساة ذوى أرحامهم أم ينفقونها فى معصية الله سبحانه وتعالى . ولينظر كيف صبر الفقراء على فقرهم . ونس هؤلاء الجاهلون أن الفضل فيما هم فيه من سعة الرزق والجاه والسلطان لله وحده وأنه سبحانه قادر على أن يسلبهم ما وهبهم.

إنذارهم لنوح وتهديدهم له :

استمر القوم على ضلالهم وطغيانهم يجادلون بالباطل كما قال تعالى «وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم» وظل نوح عليه السلام يراجعهم

بالحق المبين ويخلص لهم النصيحة ويصبر على آذاهم وسخريتهم وتهديدهم ويدعوهم بالرفق والرحمة واللين ويجادلهم بالحكمة والموعظة الحسنة. ومضى على ذلك قرون وسنون طوال بلغت ٩٥٠ سنة وهم فى ضلالهم يعمهون لا يدخل أحد منهم فى الإيمان. وظل عدد المؤمنين محدوداً.

وأخيراً ضاق القوم ذرعاً بـ «نوح» ودعوته، وإصراره وصبره، فقالوا ينذرونه ويتوعدونه فى صلف وغرور ﴿يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٣٢)﴾ [هود]

وقالوا أيضا: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ (١١٦)﴾ [الشعراء]

فرد عليهم قائلاً: ﴿يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلا تُنظِرُونِ (٧١)﴾ [يونس]

دعاء نوح عليه السلام على قومه :

وبعد أن يأس نوح عليه السلام من هداية قومه وطفح الكيل دعا ربه سبحانه وتعالى فقال: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا (٥) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَارًا (٦) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (٧) ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا (٨) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا (٩) فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا (١٢) مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا (١٤) أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا (١٥) وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا (١٦) وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الأَرْضِ نَبَاتًا (١٧) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا (١٨) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطًا (١٩) لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجًا

(٢٠) قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلاَّ خَسَارًا (٢١) وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا (٢٢) وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (٢٣) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ ضَلالاً (٢٤) مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا (٢٥) وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٦) إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا (٢٧) رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ تَبَارًا (٢٨)﴾

[نوح]

فاستجاب الله تعالى دعاء نبيه نوح عليه السلام وحقت عليهم كلمة العذاب فى الدنيا بالغرق وفى الآخرة وفى البرزخ باصطلاء النار.

نوح عليه السلام يصنع الفلك بأمر ربه :

وأمر الله تعالى نبيه نوحا أن يصنع فلكا (سفينة) كبيرا ويستعد لليوم الموعود الذى أخبره الله تعالى بعلاماته . منها أن يفور التنور (الفرن) الذى فى منزله بالماء، بدلاً من النار التى تتأجج داخله، بحيث تمطر السماء مطرا دراراً غزيراً متواصلا. وتبتلع الأرض الماء، حتى إذا امتلأت من الماء طفر على وجه الأرض.

قام نوح عليه السلام يجمع الأخشاب ويقطعها وأخذ يعمل فى صنع السفينة بجد وسعى حيث يجمع الخشب ويثبته بالمسامير أو الحبال ويطليه بالقطران. وكان يساعده بعض المؤمنين الذين كانوا محل ازدراء من الكافرين .

سخرية المشركين من نوح :

وكان الملأ (علية القوم) من المشركين كلما مروا على نوح وهو يؤدى عمله ويقوم بإعداد السفينة، يسألونه عما يفعل، سؤال سخرية واستهزاء فيجيبهم بثقة ويقين أنهم مفرقون بعذاب من الله وعقاب. وأنه سوف ينجو ومن معه من المؤمنين برحمة من الله عز وجل فكانوا يحركون رؤوسهم مستخفين عقله

ويضحكون ويتغامزون ساخرين .

امرأة نوح :

وكانت أمرأة نوح من القـوم الضالين المشركين. تابعت قومـها على ضلالهم وكفرهم. وخانت أمانة الزوجية فكانت تتجسس على نوح وتنقل أخباره إلى الملأ من قومـه. أولا بأول لا يردعهـا خلق أو دين، ولا إيمان ولا ضـمير ولا إحـساس بمسئولية ولاحفظ للأمانة. قال تعالى:

﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ [هود]

الطوفان :

ولقد أمر الله تبارك وتعالى نوحـا عليه السلام. إن يحمل فى الفلك من كل من الحيوانات والطيـور والزواحف والوحوش ذكرا وأنثى فضـلا عن أهله والمؤمنين أيضا إلا من سبق عليه القول بالكفر والشرك .

وفى ذات يوم نزل المطر من السماء غزيرا كـأفواه القرب وهطل الماء وتدفق بلا انقطاع. وأوى الناس إلى بيوتهم. ولاحظ نوح أن تنور البـيت قد انطفأت ناره، وفار منه الماء، فـبادر إلى الفلك التى أتم صناعته. وهيـأه وركـب هو ومن آمن معه مع السباع والطيور وسائر أنواع الحيوان .

نوح ينادى ابنه مشفقا عليه من الغرق :

تخلى عن الركـوب مع نوح امرأته الكافرة ، وأقـامت مع قومـها المشـركين، وكذلك أم أبـنائه، ولقد أشـفق نوح على ولده لما رآه يصـارع الأمواج فـدعاه إلى الركوب فى الفلك كى لا يكون من المفرقين فقال الولد سآوى إلى جبل يعصمنى

من الماء» جهلاً وعناداً فقال نوح: ﴿لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [هود]

﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [هود] وفتحت أبواب السماء بماء منهمر. وتفجرت الأرض عيونا وينابيع والتقى الماء النازل من السماء بالماء الخارج من الأرض.. وعلت الأمواج من كل ناحية. وسارت السفينة فى أمان باسم الله مجريها، وغرق كل من على الأرض: وفاضت روحه ونجا نوح ومن معه من ذريته والمؤمنين ومن كان معه من حيوان وطير .

﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [هود]

وتوقف المطر وهدأت الريح، وسكنت الأمواج. ونظر نوح عليه السلام فإذا السفينة على قمة جبل الجودى. وبدأ الماء ينحسر شيئاً فشيئاً. وأشرقت الشمس. ودبت الحرارة فى الأحياء ، وعادت الطبيعة إلى نضارتها وجمالها بقدرة الله ورحمته.

وجاء أمر الله تعالى: ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾﴾ [هود]

بنى العزيز:

وهكذا عادت دورة الحياة على الأرض من جديد بعد أن أهلك الله الكافرين ولم يتناسل فى الأرض بعد الطوفان إلا ذرية نوح عليه السلام كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾﴾ [الصافات]

هود عليه السلام

بنى العزيز: قال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴿٥٠﴾ ﴾ [هود]

بعد أن رست سفينة نوح على جبل الجودى فى الأناضول بآسيا الصغرى واستقرت طائفة المؤمنين وتناسل أبناء نوح عليه السلام وتكاثروا ومرت عليهم القرون الطوال، اضطر كثير منهم إلى النزوح والانتشار فى الأرض فى المشارق والمغارب، فاتجهت قبيلة عاد أبناء سام بن نوح نحو الشمال الشرقى من شبه الجزيرة العربية واستمرت فى السير على طريق الساحل بحذاء المحيط الهادى حتى استقرت بالأحقاف بين عمان وحضرموت باليمن .

الأحقاف :

وفى القرآن سورة تسمى سورة الأحقاف ، والأحقاف هى الكثبان والتلال الرملية العالية ، والكثبان تجمع رملى. وأسست قبيلة عاد هناك حضارة عظيمة ، ومدينة باهرة، وكان جدهم ارم بن سام بن نوح. فإليه تنتسب. والعماد المذكورة فى سورة الفجر هى الأعمدة الضخمة ، فكانوا أول العرب العاربة. أقاما القصور الشامخة وشيدوا البناء والعمران وكانوا طوال الأجسام كالنحل الباسق الطويل يتمتعون بما أنعم الله عليهم من القوة والمهابة والعلم والمدنية والحضارة حتى افتخروا وقالوا من أشد منا قوة (فصلت: ١٥) ونسوا أن الله الذى خلقهم أشد منهم قوة. وقد ذكر الله تعالى قصتهم فى سورة هود وسورة الفجر وغيرها من السور قال تعالى :

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨)﴾ [الفجر]

ومرت على قبيلة عاد فى مقامها بالأحقاف سنون كثيرة وأحقاب مديدة وتقلبت فيها أجيال. وكانوا يزرعون الأرض الرملية . وكانت المياه تتدفق من جوفها ويكثر فيها المطر، فانتشرت فيها الحدائق والبساتين النضرة، وكثر الخير فكانوا فى رفاهية ورخاء وترف، فاستخدموا الوانا من النعيم يتمثل فى القصور الحافلة بألوان المتاع والفخامة والراحة. لذا كان عقاب الله تعالى على عبثهم بقوله تعالى: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (١٢٨) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (١٢٩)﴾ [الشعراء]. هذا فضلا عن استصلاح الأرض واستخراج الخيرات منها.

عبادتهم للأوثان :

بدلا من أن يقر القوم بنعم الله تعالى ويشكرونه ويحمدونه ويعبدوه وحده، ساروا وراء إبليس واستجابوا لنزغاته ووساوسه، فسرت شروره وآثامه إلى نفوسهم وعقولهم فضلوا وأضلوا فعبدوا الأوثان والأصنام، ونسوا الطوفان واتصفوا بالبطش والجبروت غرورا بقوتهم ورخائهم وأموالهم يقول تعالى: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ (١٣٠)﴾ [الشعراء]

إرسال هود عليه السلام إلى عاد :

ولم يتركهم الله تعالى هؤلاء يترددون فى غيهم وضلالهم فبعث فيهم فتى منهم هو هود عليه السلام وكان من أوسطهم نسباً وأحسنهم خلقاً ، فأمره أن يدعوهم إلى توحيد الله وشكره على ما أنعم عليهم من نعم فدعاهم إلى طريق الهدى والفلاح وحذرهم من طريق الغواية والضلال بالحكمة والموعظة الحسنة والحجة الواضحة فقال لهم: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف]

وقال أيضاً مـا حكاه القرآن الكريم: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ (٥٠)﴾ [هود]

ودعاهم أيضـا ليخرجهم مـن الظلمات إلى النور كمـا حكى القرآن عنهم فى سورة الشعراء: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٢٥) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٢٦) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢٧) أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (١٢٨) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (١٢٩) وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ (١٣٠) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٣١) وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ (١٣٢) أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ (١٣٣) وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٣٤)﴾ [الشعراء]

تكذيبهم واستكبارهم واعراضهم :

كذب قوم عـاد أخاهم هودا وتعجبوا أن يكون الرسـول بشرا. وقالوا : ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ (٣٣) وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ (٣٤)﴾ [المؤمنون]

إنذار هود عليه السلام:

أنذرهم هود عليـه السلام، وحذرهم من عـذاب الله ونقمـته وعذابه فـى الدنيا والآخرة ، فما استجابوا لتحـذيره وإنذاره ، وإنما طغوا وبغوا وأصروا على كفرهم وغـرورهم وأغواهم الشـيطان فكانوا كمـا حكى عنهم القـرآن الكريم: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (١٥)﴾ [فصلت]

وكما أهلك الله تعالى قوم نوح بالطوفان أهلك قوم هود بالريح، والريح إذا ما

طغت كانت قوة هائلة تدمر كل شئ على وجه الأرض كما أن الماء إذا طغى فإنه يدمر الحياة رغم أنه المادة الأولى للحياة .

الريح العقيم :

ابتلى الله سبحانه وتعالى قوم هود بفترة جدب وقحط امتنع فيها المطرمن الهطول ولم تعد الأرض تتفجر عيونا، فجفت زروعهم، وجفت اشجارهم وتساقط ورقها وعدمت ثمارها، وكان ذلك نذيرا لهم ولكنهم لم يفقهوا هذا النذير ولم يستفيدوا منه ولم يفهموا أن ذلك آية لهود والذى معه من المؤمنين وأن ذلك القحط والجدب نذير لهم بالهلاك إن لم يرجعوا عن غيهم وضلالهم وفسادهم وكبرهم وشركهم. وقالوا لهود : ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٧٠)﴾ [الأعراف]

وفى يوم رأوا عارضا من السحاب الأسود الثقيل يستقبل أوديتهم وديارهم، ويتجه إليهم، تسوقه ريح صرصر عاتية، باردة شديدة السرعة عالية الصوت تصك الآذان فاستبشروا خيراً لما رأوها وظنوا أنها ريح ممطرة تحمل لهم الخير والماء الوفير وظنوا أن زمان الجفاف قد ولى، وأدرك هود عليه السلام أنها ريح عذاب وعقاب يحل بهم. فتولى عنهم ومن معه واستمرت هذه الريح تضرب فيهم وفى ديارهم وزروعهم سبع ليال وثمانية أيام متتابعات، فدمرت كل شئ واقتلعته ومحت من الوجود آثارهم وأهلكتهم وقتلتهم شر قتلة حيث كانت الريح تدخل عليهم بيوتهم فتكفأ قدورهم وتأخذ الرجال والنساء وتطير بهم ثم تدق لهم الأرض بعد أن تقلبهم على رؤوسهم، فلم يتبق منهم أحداً وتركت ديارهم خراب ولم يبق من آثارهم سوى الرمال والصحراء الجدباء، ونجى الله تعالى برحمته هوداً والذين آمنوا معه .

صالح عليه السلام

قال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ ثمود أَخَاهُمْ صالحا ﴾

الحجر ديار ثمود :

كانت قبيلة ثمود تنتمى إلى سام بن نوح عليه السلام. وكانت ثمود قد اتخذت منطقة الحجر دياراً لها وهى فى صحراء شبه الجزيرة العربية فى الجنوب الغربى. وكانت الحجر أرضا خصبة ، فيها الماء الوفير والظل الظليل فنحتوا من الجبال بيوتا آمنين. وانشئوا جنات وارفة الظلال، ونخيل وأعناب . ومن كل الثمرات، فاصبحوا فى رفاهية ورغد من العيش مترفين منعمين.

مداخل الشيطان :

دخل الشيطان لهؤلاء القوم من مداخل الترف والغنى للاستغناء عن الله تعالى والكفران به، فكفروا بأنعم الله، واتخذوا الأصنام يعبدونها من دونه سبحانه وتعالى، وانحرفوا عن الطريق المستقيم وتردوا فى أوحال الشرك والظلم والفساد.

صالح عليه السلام :

وكان فيهم رجل صالح هو صالح عليه السلام. نشأ نشأة كريمة ، على هدى وبصيرة، راجح العقل، ثاقب الفكر، ناضج الرأى، سليم الطوية. يشهد له الناس بالفضل ومكارم الأخلاق والصدق. أرسله ربه إلى قومه واختاره نبياً يبلغ رسالة ربه إلى قومه ليخرجهم من ظلمات الكفر والشرك والظلم إلى نور الهداية والتوحيد.

دعوة صالح عليه السلام :

قام صالح بدعوة قومه إلى عبادة الله وحده وترك عبادة الأوثان. والتوبة مما هم فيه من الشرك والظلم فقال: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ (٦١)﴾ [هود]

فكذبه قومه كما كذب الرسل من قبل قوم نوح وقوم هود. قالوا لصالح عليه السلام. إنهم كانوا يرونه فيهم سيدا صائب الرأى والقول، ويرجون فيه الخير الكثير. فإذا هو يدعوهم بما يخيب ظنهم ويضيع آمالهم فى زعمهم ﴿.. يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَا أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (٦٢)﴾ [هود]

فكانوا يتعجبون منه كيف يطلب إليهم أن يتركوا ولاءهم لآبائهم ، وما درجوا عليه من عادات وعبادات ألفوها وجعلوها ذريعة لتكذيب نبيهم صالح عليه السلام.

طلبهم للمعجزة :

قال لهم صالح: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٤٣) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٤٤) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٤٥) أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ (١٤٦) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٤٧) وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ (١٤٨) وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ (١٤٩) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٥٠)﴾ [الشعراء]

اجتمع القوم فى ناديهم وتشاوروا فيما بينهم ، وقر رأيهم أن يطلبوا من صالح أن يأتيهم بآية معجزة تكون دليلا على صدقه ، ثم واجهوه وقالوا:

﴿مَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٥٤)﴾ [الشعراء]

وحددوا تلك الآية بأن يخرج لهم من صـخرة اشاروا إليها ناقة وصـفوها كما أرادوا. وتعنتوا فى الوصف وتشددوا، وظنوا أنهم يعـجزونه بذلك، وغفلوا عن أن الله تعالى على كل شئ قدير .

ناقة الله تعالى :

فاسـتجـاب لهم صـالح واشتـرط عليهم وأخـذ عليهم العـهود والمـواثيق إن أجـابهم إلى مـا سـألوا ، وعلى الوجـه الذى طلبـوا. أن يؤمنوا بمـا جـاءهم به من الحق، فقالوا: نعم. فـقام عليه السلام يدعو ربه ويصلى ويتضـرع ويسأله التصديق والإجابة، فـإذا بالصخرة تئن وتتزلزل ثم تنشق فـتخرج منهـا ناقة عُشراء، ضـخمة عظيـمة الخلقـة جـميلة المنظـر، وخر صـالح ساجـداً لله شكراً على مـا أولى من الفضل. وانقـسم القوم إلى فريقـين فريق قليل آمن وصـدق وفريق كبـير ظل على عناده وكفره .

ما كان من شأن الناقة :

داخل المشركون رهبة وسكنوا قليلا مأخوذين من المعجزة التى رأوها. وكان من شروط صالح عليه السلام عليهم أن يكون للناقة شرب يوم معلوم من عيونهم، ولهم شـرب يوم آخر لا يأتونهـا فى يومهـا، ولا يمسوهـا بسوء أبدا وأن يتـركوها ترعى فى أرض الله، وإلا أخذهم عذاب الله .

عقرهم الناقة :

ومر زمن والناقة آمنة تغـدو وتروح وترعى وتشرب فى يومها وتسـقيهم اللبن فى يوم شربهـا بعد أن ترد الماء فـيجدوا فى لبنها مـا يكفيهم لشـرابهم فى يومهم. تضايق بعض الكافرين منها لأن الأغنام كانت تخاف منها فائتمروا بينهم على قتلها وشجـعهم على ذلك بعض النسـاء وعرضت عليـهم عجـوز كافرة بنـاتها الأربع.

وكانوا تسعة نفر اشقاهم وزعيمهم قداربن سالف، وساعده مصرع وكانت وراء تلك العجوز الكافرة تكن «أم غنمة» .

فترصد قدار ومصرع، للناقة، حتى إذا أقبلت على الماء ورويت، رماها قدار بسهم، وعقرها الثانى بالسيف، وهرب فصيلها حتى اعتلى ربوة، وانتشر الخبر فى البلدة، ففرح الكافرون، وأظهروا فرحتهم. وعلا صراخهم من شدة الفرح فشاركوا القتلة فى الإثم فحق عليهم العذاب .

يقول تعالى : ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ﴿١١﴾ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾﴾ [الشمس]

فأنذرهم صالح بعذاب الله بأنهم بعد ثلاثة أيام أن تصفر وجوههم ثم تحمر ثم تسود فلما رأو ذلك تآمر عليه قتلة الناقة ليقتلوه فنجاه الله تعالى منهم ومن معه من المؤمنين، ونزلت على القوم صاعقة من السماء أبادتهم جميعاً .

قال تعالى: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل]

أبو الأنبياء
إبراهيم عليه السلام

ميلاد إبراهيم عليه السلام :

ولد إبراهيم فى بيت أبيه آزر، وكان نجاراً ينحت الأصنام وقال بعض المفسرين أن أباه كان أيضا وزير للنمرود. وكانت عبادة الأصنام والكواكب قد استشرت فى هذه البلاد بلاد بابل، وسيطرت عقائد الشرك على عقولهم ومشاعرهم. وكان نهرى دجلة والفرات يجريان فى تلك البلاد، فكانت تخصب الأرض، وكان أهل بابل يعملون فى الزراعة ورعى الماشية. وشب إبراهيم عليه السلام فرأى الأصنام فى البيوت على شكل هياكل ترمز كل واحدة منها إلى كوكب من الكواكب وكانت تعبد من دون الله ويقدم لها القرابين ويطلق لها البخور وينذر لها النذور. وكان إبراهيم يستنكر ذلك ويرفضه عقله وقلبه. وكان الله تعالى قد آتى إبراهيم رشده فى الصبى وألقى فى روعه الهدى والضياء وعصمه من ضلال قومه فكان يكره هذه الأوثان ويعاديها .

انكار إبراهيم على أبيه :

قال إبراهيم لأبيه كما حكى القرآن الكريم: **﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾** [الأنعام]

وهكذا بدأ إبراهيم يدعو أباه إلى الله وينهى أباه عن الكفر والشرك ويبين له

فساد طريقته وبطلانها. متسلحا بسلاح الإيمان معتمداً على الله تعالى. فبدا بدعوة أقرب الأقربين .

وقال لأبيه أيضا : ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا (٤٢) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٤٣) يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (٤٤) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (٤٥)﴾ [مريم]

موقف والد إبراهيم من دعوته :

﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (٤٦)﴾

[مريم]

و معنى أراغب أنت عن: أي أكاره ومبغض ؟

رد إبراهيم على أبيه :

﴿قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (٤٧) وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا (٤٨)﴾ [مريم]

جزاء إبراهيم عليه السلام وأكرام الله له :

﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا (٤٩) وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا (٥٠)﴾ [مريم]

مناظرة إبراهيم لقومه في شأن الكواكب:

وقد وهب الله تعالى لإبراهيم عقلاً راجحا وحجة دامغة وقدرة فائقة على المناظرة والإقناع وحلاه بخير الصفات ومكارم الأخلاق التى منها الشجاعة فى قول الحق وأنه لا يخشى فى الله لومة لائم والعلم والحلم والصبر وغير ذلك من

الصفـات التى يتحلى بها الأنبـياء وإبراهيم عليه السـلام كان نبيـا رسولاً من أولى العـزم قال تعـالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (٧٥)﴾ [الأنعام]

ولقد نبـه الله تعالى حس إبراهيم وعـقله على الكون، على الأرض وما عليـها من إنسان وحيوان ونبات وماء وجماد، وعلى السماء وإرتفاعها وما فيها من نجوم ساطعـات وكواكب نيـرات. معلقـة من غير شئ يشـدها أو أعمـدة تحملهـا خرج إبراهيم عليه السلام فى البـرارى يتطلع فى الأرض وينظر فى السماء ويفكر وناظر قومه بطريقة المـوافقة فى أول الأمر ثم الكر عليهم وبيان زيـف ماهم فيه من باطل وذلك بشواهد وأدلة يرونها أمـامهم ولا يستطيعون إنـكارها وهى غياب الكواكب بعد ظهورهـا وحركتها والتـغيرات التى عليهـا مما يدل على أن لها خـالق يظهرها ويغيبها ويحركها ويبديها ويخفيها فدل ذلك على أنها محدثة مخلوقة .

قال تعـالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (٧٥) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ (٧٦) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (٧٧) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٧٩)﴾ [الأنعام]

فقد ظهر كوكب منير ثم غاب، ثم ظهر القمر بنوره الفضى وكان بدراً ثم أفل وغاب أيضاً، وكسفـته أشعة الشمس بضيائها عند طلوع النهار أو حـجبته السحب ثم لما طلعت الشـمس تغمر الكون بأشعـتها ، قال هذا ربى ثم أن الشـمس اصفر

لونها وبهت ثم غـابت فعند ذلك أعلن إبراهيم عليـه السلام براءته من المشـركين بقوله: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام]

إبراهيم يحطم الأصنام:

وفي يوم عيـد للقوم، وقـد خرجوا إلى ظاهر الـبلد تسلل إبراهيم إلى المعـبد الكبير، يـحمل بيده فأساً وقـد بيت في نفسه أن يحطمـها، فراح ينهال عليـها بقوة يهشمها واحداً إثر الآخر حتى أتى عليها جـميعاً إلا كبيرهم تركه وعلق الفأس في رقبته وغـادر المكان. ودخل كاهن المعبد إلى الهيكل فـرأى الأوثان محطمة وقد تحولت إلى قطع صغيرة متناثرة فهاله مـا رأى وصرخ مستنجدا فاجتمع الناس من كل مكان. وراعهم ما رأوه قد حل بآلـهتهم ، فتشاءموا فيـما بينهم منكرين (قالوا) من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين﴿قَالُوا مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنبياء]

فقـال قائل منهم يعـرف إبراهيم وما عليـه من كفر بالأصـنام وهزء بها ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ [الأنبياء]

فقال سادتهم: ﴿قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الأنبياء]

فجئ بإبراهيم وسئل : ﴿أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾﴾ [الأنبياء]

فرد عليهم ساخرا منهم وسفهاً لعقولهم: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنبياء]

فراجعوا أنفسـهم وتفكروا في موقفهم. فرجعوا إلى أنفـسهم فقالوا انكم أنتم

الظالمـون وكانوا فى شـبه غـيبـوبة من هول الصدمـة وبعد برهة «ثم نكسـوا على رؤسهم» فلما فكروا قليـلا أدركوا أن إبراهيم يلعب بعقولهم وسـخر من تفكيرهم فقالوا: «لقد علمت ما هؤلاء ينطقون» عندئذ صدمهم إبراهيم بالحجة الثانية .

﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلا يَضُرُّكُمْ (٦٦) أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ (٦٧)﴾ [الأنبياء]

إلقاء إبراهيم عليه السلام فى النار :

انطلق القوم إلى ملكهم النمرود غـاضبين فجمع أهل مشـورته وأجمع أمرهم على التـخلص من إبراهيم ودعـوته بأن يأججـوا ناراً، هائلة يشـعلونها فى أخـدود ويلقـون فيهـا إبراهيم. قال تـعالى: ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ (٧٠)﴾ [الأنبياء] فـجمـعوا أكـواماً مـن الحطب، وربطوا إبراهيم إلى عـمود فى وسطهـا. وجلس الملك وحاشيته على منصة مرتفـعة، وحشر الناس حول المكان لمشاهدة هذا الحادث الجلل، وإبراهيم عليه السلام يتطلع ببصره إلى السماء ويقول حسبى الله ونعم الوكـيل: قال النبى ﷺ : حـسبى الله ونعم الوكـيل دعوة إبراهيم عنـدما ألقى فى النار» (رواه البـخارى) ولـم يقل علمـه بحالى يغنى عن سـؤالى كمـا قال بعض المخرفـين فإن الدعاء من أعظم وأجل العبادات. وإذا بجبـريل عليه السلام ينزل عليـه ويقول له: الك حـاجة يا إبراهيم فـقال أمـا إليك فلا وردد هذا الـدعاء حسبى الله ونعم الوكـيل. ولما أمر النمرود باضـرام النار ارتفعت السنة اللهب إلى عنان السـمـاء. وامتـلأ المكان بـالدخان حـتى حـجب الناس بعـضـهم عن بعض فامتنعت الرؤية، وكان لهب النار يشوى الوجوه .

ولكن الله سبحانه على كل شئ قدير وهو سبحانه غالب على أمره فسلب النار خاصيـة الإحراق وعطل قانونها وأمرها أن تكون برداً وسـلاماً على إبراهيم وقوله تعـالى وسلامًـا جتـى لا تتحـول النار إلى قطعـة من الثلج تهلك إبراهيم بالبـرودة

الشديدة. قال تعالى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (٦٩)﴾ [الأنبياء] ولشد ما كانت دهشة الملك النمرود وحاشيته وشعبه حين خرج إبراهيم من النار آمنا سالماً معافى بمعجزة من الله تعالى. ورغم هذه الآية الكبرى أصر أكثر الناس على الكفر وأولوا هذه المعجزة بتفسيرات شتى فمنهم من زعم أنه ساحر ومنهم من زعم أن آلهتهم هى التى أنجته بعد أن دعاها. وهكذا يقلب المزورون الحقائق ويلبسون على الناس الحق الأبلج .

المحاجة بين إبراهيم والنمرود :

وحاج الملك النمرود إبراهيم عليه السلام فسأله: من ربك الذى تدعو إليه من دونى فقال إبراهيم. ربى الذى يحي ويميت. فقال النمرود بعد تفكير: أنا أحى وأميت.. وأمر باحضار أثنين من السجناء فضرب عنق أحدهما .

وعفا عن الآخر ممن كان قد صدر عليه حكم بالأعدام .

فنقله إبراهيم من هذه المغالطة إلى أمر لا يستطيع أن يموه أو يجادله فيه فقال: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ (٢٥٨)﴾ [البقرة] وتحير وعجز عن الرد .

الهجرة :

كان إبراهيم عليه السلام ما يزال فى أرض بابل بين أهله وقومه، يبذل قصارى جهده لهدايتهم إلى الدين الحق دين الإسلام، لكنهم استمروا على كفرهم وضلالهم ، وضاق والده ذرعاً فأنذره بالطرد إن لم يكف عن دعوته، وكان إبراهيم قد تزوج من سارة ابنة عمه، ولكنها لم تنجب، وكانت مؤمنة به، وكذلك ابن أخيه لوط. قال إبراهيم لأبيه: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٩٩)﴾ [الصافات]. ثم دعا ربه قائلا: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠٠)﴾ [الصافات]. ثم قال لأبيه: ﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ (٤)﴾ [الممتحنة]

وخرج من بابل ومعه زوجته سارة وابن أخيه وماشيته واتجه إلى الجنوب الغربى.. متوكلاً على الله معتمداً عليه داعياً فى ضراعة وخشوع : ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾ [الممتحنة]

فى حبرون من أرض فلسطين :

وحبرون هى المعروفة الآن باسم الخليل سميت بذلك نسبة إلى خليل الله إبراهيم عليه السلام. الذى اتخذه الله خليلاً. ومعنى خليل أى صاحب، وهذه الصحبة هى رعاية من الله وحب لنبيه عليه السلام. أما لوط عليه السلام. قد نزل عند البحر الميت (بحيرة لوط) .

الرحلة إلى مصر :

بارك الله لإبراهيم فى ماشيته ونمت وكبرت. وكان إبراهيم يبذل جهده فى الدعوة إلى الله وكان فى كل القدوة للناس فى أخلاقه ومعاملاته ويقينه بالله تعالى والصبر على الأذى فى سبيل الله والجهاد لإعلاء كلمة الدين فالتف كثير من الناس حوله .

وفى ذات يوم وكان فى خلوة فى البرية خطرة له خاطرة فسأل ربه أن يريه كيف يحي الموتى ويبعث من فى القبور .

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾ [البقرة] فاستجاب له ربه، وأمره أن يأتى بأربعة من الطير ويذبحها ويقطع أجسامهم ويضع على كل جبل من الجبال المحيطة به جزءا ثم يناديهن فلما فعل أتينه سعياً فخر إبراهيم ساجداً شاكراً لله تعالى .

وارتحل إبراهيم مع زوجه سارة فى رحلة إلى مصر، ولقى هناك إكراماً وحفاوة بالغة، وعاد من رحلته محملاً بالهدايا الكثيرة، ومن بينها فتاة مصرية جميلة تدعى «هاجر» .

ودخل إبراهيم عليه السلام (بهاجر) فأنجبت ولده إسماعيل عليه السلام، ثم أمره ربه أن يرحل بها وباسماعيل إلى برية فاران (مكة) وهناك نبعت بئر زمزم تحت قدمى إسماعيل بعد أن عطش عطشا شديدًا ونفذ الماء والطعام وسعت هاجر بين الصفا والمروة . ثم جاءت قبيلة جرهم وأقامت حول ماء زمزم وكبر إسماعيل وتزوج منهم. ثم بعد ذلك انجبت سارة ولدها إسحاق عليه السلام بعد أن بلغت من العمر عتيا .

ثم أمر إبراهيم عليه السلام فى المنام أن يذبح ولده إسماعيل فاستجاب لأمر الله تعالى ففدى الله إسماعيل بذبح عظيم . ثم أمره الله تعالى ببناء الكعبة المشرفة ورفع قواعدها مع ابنه إسماعيل وذلك مذكور فى قصة إسماعيل عليه السلام. واتم إبراهيم كلمات الله ونجح فى الابتلاءات التى ابتلاه الله تعالى بها إلى أن وافاه أجله عليه السلام .

نبى الله
لوط عليه السلام

هاجر لوط بن هاران بن تارح مع عمه إبراهيم عليهما السلام إلى مصر ثم إلى الشام كما قلنا من قبل وكثر مالهما وماشيتهما وأغنامهما فاستأذن لوط عمه فى الرحيل واستقربه المقام فى قرية سدوم. فوجد فيها قوما لم يعرف البشرية مثلهم فى جرمهم وكفرهم وخبثهم ووقاحتهم .

فقد كانوا يقطعون الطريق ويسلبون الأموال ويزهقون الأرواح ويأتون فى ناديهم المنكرات حيث كان الرجال يستمتعون بالرجال من دون النساء أمام بعضهم البعض.

ولما كان الله تعالى لا يعذب قوماً حتى ينذرهم ويرسل إليم رسولاً فقد أرسل الله تعالى إليهم لوطا عليه السلام ، فحذرهم وأنذرهم ودعاهم إلى التطهر والتوبة إلى الله من ذنوبهم وآثامهم، وخطيئتهم التى لم يسبقهم إليها أحد من العالمين.

قال تعالى: ﴿**فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ** (٥٦)﴾ [النمل]

ولقد صابرهم لوط زمنا طويلاً ودعاهم إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والبراهين الساطعة، والحجج المقنعة، ولكن القوم صموا آذانهم وصمموا على إخراجه من قريتهم أى نفيه خارج البلاد. فدعا ربه أن ينصره عليهم .

يقول تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ (١٦٠) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلا تَتَّقُونَ (١٦١) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٦٢) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٦٣) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٤) أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ (١٦٥) وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ (١٦٦) قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ (١٦٧) قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ (١٦٨) رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ (١٦٩)﴾ [الشعراء] من القالين: أي الكارهين المبغضين. وطلع عليه الملائكة فى صورة بشر أسوياء ، منهم الشباب والجمال، فسئ بهم وآلمه نزولهم عنده وهو يحسبهم بشراً وذلك لعلمه بخبث قومه ورغبتهم فى الرجال .

وضاق بهم ذرعاً: أى أحس العجز عن حمايتهم، ولإحساسه بالمسئولية الملقاه على عاتقه لحماية ضيوفه هو الذى آلمه وأوجعه.

يقول تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ (٧٧)﴾ [هود]. أى يوم قاس شديد الوقع على النفس وحدث ما توقعه لوط عليه السلام فقد سمع القوم بقدوم الضيفان على لوط كما أخبرتهم زوجته بخبرهم فهرعوا إلى لوط يطلبون منه أن يمكنهم منهم. فوبخهم وذكرهم بالله تعالى وأن الله جعل لهم النساء وأحل لهم الزواج بهن، وهم لا يكفون ولا يرتدعون ، وظلوا يراوغونه ويدافعهم فنطق رسل الله بالبشرى التى كان ينتظرها، ووعدوه باهلاك قومه مع طلوع الصباح.

﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَٰؤُلاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ (٧٨) قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ (٧٩) قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ (٨٠) قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلا

يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (٨١)﴾

[هود]

ولقد أمر الملائكة لوطا عليه السلام بعدم الإلتفات إلى تلك القرية ومن فيها لأنها دار فسق ينبغى أن يقطع المؤمن كل مشاعره نحوها. فلا يتبعها بصره ولا يلقى عليها نظرة وداع. وهكذا ينبغى للمؤمن أن يعتزل المنكر وأهله فلا يحوم حوله، ولا يحر بداره ولا يتصل بأهله لإظهار البغض والبراء من أهل المنكر وحتى لا يعلق فى قلبه حب هذا المنكر أو يقر ما هم عليه من معاصى وفسق .

إلا أمرأته كانت من الهالكين لخيانتها لزوجها نبى الله لوط وموافقتها لقومها وإفشاء أسرار زوجها وإقرارها لهذا المنكر ورضاها به .

ولما جاء الصبح الموعود. وقع أمر الله وقضاؤه الذى قدره ، فأمر سبحانه وتعالى جبريل عليه السلام فجعل عاليها سافلها. وأمطر عليها حجارة من نار جهنم معلمة . كل حجر يقع على من يشاءالله فلا يخطئه . فذهب معالم القرية بأسرها. وصار أهلها حديثا تتناقله الأجيال، وآية للذين يخافون عذاب الله . وهذا جزاء الظالمين .

وفى هذه القصة عبرة لمشركى مكة ومن حولها وعبرة لمن يعتبر إلى يوم القيامة .

إسماعيل عليه السلام

لما وضعت هاجر مولودها سموه إسماعيل . فكان قرة عين أبيه إبراهيم عليه السلام وحظيت هاجر بمزيد من الحب والعطف والحنان .

فى برية فاران وصحراء الحجاز :

بنى العزيز:

يقول بعض المفسرين والمؤرخين إن سارة قد غارت من هاجر وطلبت من زوجها إبراهيم أن يرحل بها إلى برية فاران فرحل بها وتركها هناك معها بعض الزاد والماء .

وحقيقة الأمر أن الرحيل بهاجر وإسكانها مكة كان بأمر الله تعالى وإن كانت الغيرة من النساء أمر فطرى إلا أن سارة المرأة الصالحة التقية لا يمكن أن تأمر بنفى ضرتها إلى مكان صحراوى قفر لا زرع فيه ولا ماء. ولكن ذلك تم بوحى من الله تعالى لحكم كان يعلمها عز وجل فقد بارك فى هذه الأسرة وجعل فيها شعباً يعبد الله ويعمر تلك الصحراء. وجرى فى هذه البلاد أحداث جسام حيث أمر الله تعالى إبراهيم بذبح ولده لتخلص الخلة لله تعالى فلما هم إبراهيم بتنفيذ أمر الله تعالى بتسليم ورضا بقضاءه وقدره فدى الله إسماعيل بكبش أقرن أملح وأمره وولده ببناء الكعبة المشرفة بيت الله الحرام ورفع قواعدها مع ولده إسماعيل . ومن قبل فجر بئر زمزم تحت قدمى إسماعيل وصار السعى بين الصفا والمروة من شعائر الله ومناسك الحج. وصار ذبح الأضحية من سنن عيد الأضحى إلى غير

ذلك من الآيات والبركات التى منحها الله تعالى لهذه الأسرة الكريمة. وجعل الله تعالى إبراهيم أبا للأنبياء الذين أتوا بعده جميعاً بما فيه رسولنا الكريم محمد ﷺ .

بنى العزيز :

إليك القصة بشئ من التفصيل من غير اختصار مخل ولا إسهاب ممل .

فى وادى بكة

حين بلغ الركب المبارك وادى بكة توقف عن المسير ونزل إبراهيم بزوجته هاجر وولدهما إسماعيل فى هذا الوادى المبارك الذى كان فى ذلك الوقت مكان قفراً موحشا لا بشر فيه ولا زرع ولا ماء سوى أنه كان بجوار : البيت الحرام، الذى زالت معالمه وعفت آثاره. وغطت عليه الرمال وطمرته بعد أن هدمه الطوفان. وانفض الناس من حوله وقد انحرف الناس وعبدوا الأصنام والأوثان وهجروا البيت ورحلوا يضربون فى الأرض .

هاجر المؤمنة :

ولما ترك إبراهيم هاجر ومعها طفلها الرضيع إسماعيل ووضع بين يديها قربة ماء وجراب تمر. وهم بمغادرة المكان. قالت هاجر آلله أمرك يا إبراهيم أن تتركنا هاهنا ؟! فقال: نعم. قالت: إذن لا يضيعنا. قالتها راضية مستسلمة لأمر الله تعالى .

دعاء إبراهيم :

وعندما سار إبراهيم عليه السلام خطوات، وعند ربوة مرتفعة التفت خلفه ناظراً إلى زوجه وابنه فى حنان ورحمة وإشفاق ثم اتجه ببصره إلى السماء داعيا ربه بحرارة وصدق ويقين ورجاء قائلا:

﴿رَّبَّنَا إِنِّى أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ

﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (٣٧)﴾ [إبراهيم] ثم مضى .

بنى العزيز :

لعل هذه الآية تثبت لك أن إبراهيم عليه السلام ليس أول من بنى الكعبة المشرفة لأنه من المعلوم أنه دعا بهذا الدعاء عندما كان ابنه صغيراً رضيعاً وكانت البرية خالية من الناس والزرع والماء فدعا ربه أن يبعث إليهم من الناس من يأنس غربتهم ويعمر هذا المكان القفر .

وقوله عند بيتك المحرم يدل على أن البيت بنى قبله وكانت آثار موجودة. ولم يدع هذا الدعاء بعد بناء البيت لأنه وقت بناء البيت مع ابنه إسماعيل كان قد كبر وشب وامتلأ المكان بالناس من قبيلة جرهم .

وعندما أخبر سبحانه وتعالى عن بناء إبراهيم للبيت قال: **﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل﴾** ولم يقل وإذ يبنى إبراهيم القواعد وكان دعاء إبراهيم عليه السلام بعد بناء البيت **﴿ربَّنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم﴾** وكذلك كان من دعاء إبراهيم بعد إعادة بناء البيت: اجعل هذا بلداً آمنا. وقوله أجعل هذا البلد آمنا ولعل فى هذا دليل على أن إبراهيم عليه السلام أعاد بناء البيت ولم يكن أول من بناه وهناك فى السنة أحاديث يخبر بأن الأنبياء قبل إبراهيم كانوا يحجون البيت ومنهم آدم عليه السلام. فعبادة الحج عبادة قديمة بدأت من آدم عليه السلام. وبعض المفسرين يقول إن آدم هو الذى بنى الكعبة ابتداء وبعضهم يقول إن الملائكة هى التى بدأت بناء الكعبة وهناك دليل آخر يدل على أن البيت كان مبينا قبل إبراهيم عليه السلام قوله تعالى: **﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا**

وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران]

قوله تعالى:وضع للناس، وقوله ولله على الناس فإن الناس تشمل البشر من لدن آدم إلى قيام الساعة فكيف يكون الحج من لدن إبراهيم دون من قبله ؟

وأقامت هاجر مع إسماعيل أياما حتى إذا نفد ما لديها من الماء والتمر بدأ الطفل يبكى من الجوع والعطش فقامت تسعى بين ربوتى الصفا والمروة لعلها ترى إنساناً أو ماء. أو أثرا لشجر. حتى إذا أجهدها السعى ولم تجد بغيتها عادت إلى مكان الطفل فرأت عند قدميه تفجر الماء الغزير فوق الرمال. فزمته بيديها أى حجزته ما استطاعت وشربت وسقت طفلها. وأدركت أن الله تعالى قد تداركها وطفلها برحمته. وأنه تعالى لم يضيعها. وكانت هذه زمزم التى أمر النبى ﷺ الحجيج أن يتضلعوا منها أى يشربوا حتى يرتوا وهناك حديث يقول: «ماء زمزم لما شرب له» .

نزول قبيلة جرهم بجوار زمزم :

وبعد أيام مر طائفة من البدو الرحل من قبيلة جرهم تعجبوا لما رأوا خيمة وماء ولم يعهدوا فى هذا المكان ماء ولاسكانا وقبل أن يصلوا إلى خباء هاجر رأوا الطيور من بعيد تحط على مكان بئر زمزم فعلموا أن فى هذا المكان ماء لأن الطيور لاتحط إلا على الماء. فاستأذنوا هاجر أن ينزلوا بجوارها فسمحت لهم واشترطت عليهم أن تكون هى صاحبة الماء فوافقوها.

ومنذ ذلك الحين بدأت معالم مدينة مكة تظهر شيئاً فشيئاً . واستجاب الله تعالى دعاء خليله إبراهيم عليه السلام. وكان إبراهيم يأتى بين وقت وآخر ليطمئن على ولده إسماعيل وزوجته هاجر .

البلاء المبين :

فى أثناء زيارة لإبراهيم لولده إسماعيل وزوجته هاجر وبينما كان نائماً رأى رؤيا أفزعته. إذ رأى أنه يذبح ولده إسماعيل فهب من نومه مذعوراً واستعاذ بالله ثم عاود النوم فرأى نفس الرؤيا. وتكررت الرؤيا نفسها مع إبراهيم فأيقن أنها وحى من الله تعالى لأن رؤيا الأنبياء وحى ، وعلم أنه ابتلاء وبلاء مبين من الله تعالى ليختبر طاعته وتسليمه لأمره وكان من أشق الأمور عليه أن يخبر ولده بهذه الرؤيا. ولشد ما كان رضاه عندما أخبر ولده فأطاعه واستسلم لأمر الله تعالى. وكان إسماعيل قد كبر وصار شابا يافعاً قد بلغ مبلغ السعى والعمل. فما أشد هذا البلاء أن يؤمر إبراهيم بذبح ولده بكره الوحيد فى ذلك الوقت وبعد أن بلغ مبلغ الشباب والفتوة والقوة على السعى والعمل وصار عونا لأبيه ووارثا لدعوته من بعده وقد أنجبه على كبر وبعد أن ضعفت قوته وابيض شعره واضطراره لأن يذبحه بنفسه وأن يخبره بذلك .

فما أعظم صبر هذه الأسرة الكريمة ورضا بقضاء الله وقدره واستسلامها لامره.

وقد بذل الشيطان غاية جهده فأخذ يحاول تشكيك إبراهيم فى الرؤيا وأنها من الشيطان فرجمه إبراهيم بالحجارة فنزلت عليه كالصواعق المحرقة فذهب الشيطان إلى إسماعيل يحرضه على العصيان لأمر الله ويثير حفيظته على والده فرجمه إسماعيل فلم ييأس إبليس فذهب إلى هاجر يخوفها ويثيرها على زوجها النبى الصابر لأمر الله فلم تسمع له ورجمته بالحجارة. وصار الرجم شعيرة من شعائر الحج إلى يوم القيامة، وفى تصوير صبر إبراهيم وإسماعيل يقول تعالى:

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ

يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢)﴾ [الصافات]

أراد إبراهيم أن يجعل لإسماعيل نصيباً من أجر الصابرين فأعلمه وشاوره فكان ما توقعه إبراهيم من ولده ذرية بعضها من بعض .

الفداء :

خرج إبراهيم مع ولده إسماعيل عليهما السلام دون أن تحس بهما هاجر، متجهين إلى مكان بعيد بين مكة وعرفات، ولم يستجيبا لوسوسة الشيطان الذى ظهر لهما مرات ومرات ورجماه بالحجارة كما قلنا آنفا. حتى إذا بلغا المكان المقصود واضجع إبراهيم ولده إلى الأرض، وامتدت يده بالمدية الحادة يريد أن ينفذ أمر الله بالذبح جاء الهاتف والفداء. جاءه جبريل عليه السلام ناداه ومعه كبش ثمين فأمره أن يذبحه بدلاً من ابنه **﴿وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّءْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (١٠٧)﴾** [الصافات] وبشره ربه بإسحاق نبيا من الصالحين .

نبى الله
إسحاق عليه السلام

قال تعالى: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ (١١٢)﴾ [الصافات]

جاءت البشارة بإسحاق بعد حادثة الفداء كما يدل على أن الذبيح هو إسماعيل وليس إسحاق كما يزعم أهل الكتاب ليستأثروا بالشرف دون العرب وقد صدقهم فى هذا بعض المفسرين فغلطوا وزعموا أن الذبيح هو إسحاق . ودليل آخر على أن الذبيح إسماعيل أن قصة الذبح قد وقعت بمكة وإسحق لم يكن بمكة وإنما الذى أقام بمكة هو إسماعيل عليه السلام .

بنى العزيز :

إسماعيل عليه السلام هو جد العرب المستعربة وهو جد النبى ﷺ .

أما إسحاق عليه السلام فهو جد بنى إسرائيل وإسرائيل هو يعقوب بن أسحاق عليه السلام .

ضيف إبراهيم :

وفى ذات يوم نزل بيت إبراهيم ضيوف قادمون. وكان بيت إبراهيم مثابة للقاصدين والزائرين فقد عرف عليه السلام بالكرم والسخاء، وكان ذا مقام ومكانة وغنى وكرم أخلاق فكان حرياً (جديراً) أن يقصده الناس من كل مكان طمعاً فى كرمه وحسن ضيافته وما عنده من علم وخلق .

وسعى إبراهيم عليه السلام لإكرامهم، فجاء لهم بعجل (مشوى) فى سرعة وقدمه بين أيديهم. لكن أيدى الضيفان لم تمتد إلى الطعام لتأكل. فأوجس (أحس) منهم خيفة واضطرب وسأل: مالكم لا تأكلون ؟ لأن الضيف إذا لم يأكل عند مضيفه دل ذلك على أنه يضمر عداوته . والناس لا يأكلون إلا عند من يحبونهم. فأخبروه أنهم ملائكة قد أرسلوا فى مهمتين متتابعتين . تدمير ديار قوم لوط وقلبها على رؤوس أصحابها وبشارة إبراهيم بغلام تلده سارة. وكانت سارة تقف قريبا منهم تسمع لما يقول الضيف فصكت وجهها أى ضربت جبهتها تعجبا. وقالت: كيف ألد وأنا عجوز عقيم ؟؟!! فقال الملائكة ﴿كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾﴾ [الذاريات] واستخبرهم إبراهيم عليه السلام عن قضية قوم لوط يريد أن يطمئن على ابن أخيه فأخبروه أن قوم لوط قوم فاسقون. وأنهم فى سكناهم عند البحر الميت. فى قريتى سادوم وعامورة قد أتوا من المنكر وسوء الأخلاق مالم يعهده بشر من قبل فى نواديهم وعلى رءوس الأشهاد علانية أمام الناس. من غير رادع ولا وازع من دين ولا ضمير أو خلق أو دين أو حياء .

وعلى الرغم من أن لوطا دعاهم إلى الهدى والفضيلة وبصرهم وحذرهم لكنهم لم يستجيبوا وعابوا عليه أن يتطهر مترفع عن الدنايا وهددوه بالنفى من البلاد بسبب هذا التطهر الذى اعتبره سبة وجنابة. وأخبروه أن زوجة لوط قد أخبرت الناس الفسقة بوجود ضيوف عند لوط هم أجمل الخلق وجوها وأحلاهم منظرا. ودعتهم إلى اتيانهم فى بيت لوط وارتكاب المنكر والفحشاء معهم !! وحرضتهم على ذلك. وكانت زوجة لوط تعنينا نحن الملائكة ضيوفك يا إبراهيم ولقد فوضنا بجمع الناس وحشودهم يحيطون بنا فى بيت لوط. فخرج إليهم يحاول منعهم وصدهم عن حمقهم وإجرامهم ، ويقول لهم لا تخزونى لا تذلونى

وتفضحونى فى ضيفى. وإن كنتم لابد فاعلين فهؤلاء بناتى أزوجكم إياهن لكنهم لم يستجيبوا ، وعلا صراخهم وضجيجهم فى الخارج فرجع إلينا وقد شحب لونه، واصفر وجهه وامتقع خوفا وخجلا. فطمأناه إلى أننا رسل من عند الله. وقد حقت كلمة العذاب على الكافرين الفاسقين. ولسوف نجعل سادوم وعامورة عبرة ونكالاً.. وطلبنا إليه أن يخرج بأهله ومن معه من بين ظهرانى القوم. لأنا مهلكو هذه القرى وأهلها ومعهم زوجة لوط .

وكان إبراهيم عليه السلام يقول لهم أليس فى هذه القرى مائة بيت من المسلمين قالوا لو كان فيها عشرة أبيات لم نهلكها وقالوا لم نجد فيها غير بيت من المسلمين وهو بيت لوط باستثناء امرأته الخائنة .

وهكذا دمر الملائكة قرى قوم لوط وزلزلوها واسقط الله عليهم حجارة من السماء فاشتعلت القرى بالنيران فجمع لهم بين عذاب الخسف والزلزلة والرجم والحرق لشناعة إجرامهم وفقدهم للحياء والمرؤة . وليعلم من بعدهم شناعة هذه الجريمة جريمة إيتيان الرجال شهوة من دون النساء .

مولد إسحاق عليه السلام :

اطمأن إبراهيم عليه السلام على ابن أخيه لوط ونجاته واستبشر بحمل سارة وكان هو أيضاً قد بلغ من العمر عتيا فلما آن أوان وضعه، وضعته ذكراً فسمياه إسحاق ومعناها يضحك وهى كلمة عبرية .

زواج إسماعيل :

لما شب إسماعيل وكبر تزوج فتاة من جُرهم، وكان إسماعيل داعيا إلى الله تعالى آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر هاديا مهديا حسن الخلق متصف بالحلم والعلم فاتبعه الناس واقتدوا به . وكان إبراهيم عليه السلام يزور ولده إسماعيل فى

كل عام. فجاء مرة لزيارته فاستقبلته زوجة إسماعيل فسألها عنه. فقالت: إنه خرج يسعى على رزقه، ثم سألها عن حالهم، فشكت له قلة ذات اليد وسوء العيش والفقر. فقال لها بعد أن ودعها : قولى لزوجك أن يغير عتبة الدار. ثم انصرف ولم يمكث رغم مشقة السفر وعاد راجعا إلى حبرون (الخليل) فى فلسطين .

وعاد إسماعيل فأخبرته زوجته بما كان من أمر الشيخ الزائر. فأدرك إسماعيل أن أباه يأمره بطلاق زوجته. فقال لها إن أبى قد أمرنى بمفارقتك. الحقى بأهلك وتزوج غيرها .

وجاء إبراهيم فى زيارة أخرى، فلم يجده أيضاً. ورأى امرأة أخرى فى الدار فأراد أن يمتحن صبرها وصدق إيمانها وحسن عشرتها لابنه . فسألها عن حالهم. فحمدت الله على ما أنعم وتفضل وشكرت نعم الله وأثنت على زوجها وعيشها. قال لها: ما شرابكم قالت الماء واللبن. قال: ما طعامكم قالت: اللحم فدعا لهما بالبركة ومشى راضيا وقال لها: قولى لزوجك أن يثبت عتبة داره ومضى .

وعاد إسماعيل من سعيه، فأخبرته الزوجة الجديدة بزيارة شيخ وضئ عليه المهابة والوقار ويبدو عليه سيماء الصلاح فقال ذلك أبى قال وهل أمرك بشئ قالت: قال لى: قولى لزوجك يثبت عتبة داره . فقال إسماعيل عليه السلام إنه والدى. قد أمرنى أن أحافظ عليك .

إعادة بناء الكعبة :

وفى إحدى زيارات إبراهيم لولده إسماعيل فى مكة جاءه الأمر من الله تعالى أن يقيم هو وولده إسماعيل بيت الله. ويرفعا القواعد من تحت ركامات الرمال. ليكون هذا البيت مثابة للناس (اى مزار يكررون الزيارة وشد الرحال إليه) يأتونه حاجين ملبين لعبادة الله وحده ونبذ الشرك وأهله. فشمر الأب والابن عن سواعد

الجد . وقاما بالعمل مخلصين لله تعالى وكان إبراهيم يبنى وإسماعيل يناوله الحجارة. ولم تكن وسائل ومعدات البناء الحديثة قد عرفت فى هذا الزمان فوقف إبراهيم عليه السلام على حجر ليعلو البناء فوق قامته حتى يتقن هذا العمل بعد أن طهرا أرض البيت للطائفين والعاكفين والركع السجود .

وبعد أن أتما البناء رفعا أيديهما بالدعاء إلى الله تعالى أن يتقبل عملهما. يقول تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٢٩)﴾ [البقرة]

زواج إسحاق :

قام إسحاق برحلة إلى بابل فى العراق. موطن أبيه الأول، وهناك تزوج فتاة هى إحدى قريباته ، وعاد راجعا إلى فلسطين. وكان ذلك فى حياة أبيه إبراهيم .

وورث إسحاق النبوة بعد أبيه إبراهيم كما ورثها إسماعيل وقام بالدعوة إلى الله تعالى فى شعبه وقومه، مبشرا ومنذرا ومعلماً وقائداً وقدوة آمراً بالمعروف وناهيا عن المنكر .

وميراث النبوة لا يكون بمجرد النبوة للأنبياء وإنما هو اجتباء من الله تعالى وعن امره واصطفائه فالله تعالى أعلم حيث يجعل رسالته. فإن إبراهيم عليه السلام لما جعله الله إماماً ورسولاً إلى الناس قال ومن ذريتى قال له ربه: لا ينال عهدى الظالمين. وقال تعالى لنوح فى شأن ابنه الكافر العاق: إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح ..

وكانت نبـوة إسحاق فى أرض حبـرون ونبوة إسماعـيل فى برية فاران (مكة) ومـا حولهـا فكانا يريسـان قـواعد التـوحـيد ومكارم الأخـلاق فى نفـوس الناس وعـقولهم وقلوبهم فكـانا خيـر خلف لخيـر سلف صلوات ربى وسـلامه عليـهم أجمعين .

إبنا إسـحـاق :

ووضعت زوجـة إسحاق توأمين ذكـرين. هما عيسـو ويسمى عيصـر ويسمى العـيص والثـانى هو يعـقوب ويسـمى إسـرائيل أيضـاً اى عبـد الله . وإسـرائيل أو يعقوب هو والد الأسباط الأثنى عشـر الذين تفرع منهم بنو إسرائيل . فالأسباط فى بنى إسرائيل كالقبائل فى العرب .

دعـوة إسـحـاق بنبـوة يعـقـوب :

ولما كبر إسحاق، وقـارب الوفاه وأحس بدنو أجله دعا ربه تبارك وتعالى: أن يعهـد إلى يعقوب بالنبوة فقد كـان قرة عين والـديه، وكان مؤهلا أن يحـمل أمانة النبوة والدعـوة إلى الله تعالى، ويكافح فى سـبيلها وهى أمنـيته حـققهـا ربنا تبارك وتعالى والله أعلم حيث يجعل رسالته .

نبى الله
يعقوب عليه السلام

زواج يعقوب عليه السلام :

سافر يعقوب إلى العراق ونزل ضيفاً عند أحد أخواله، وكان لهذا الخال فتاتان. إحداهما تدعى ليئة والأخرى راحيل. وأعجب يعقوب براحيل واحبها ورغب فى زواجها. لكن خاله زوجه من ليئة وهى ابنته الكبرى فولدت له ابنة خاله أكبر ابنائه، ولكنه كان لا يزال يحب راحيل ويتمنى زواجها .. فعرض رغبته على خاله، فوافق بشرط أن يعمل عنده فترة من الزمن. كمهر للراحيل، فوافق يعقوب وخدم خاله بأمانة وإخلاص. فلما أتم المدة حمل معه زوجته راحيل، وليئة وأبناءه منها. وعاد بهم إلى أرض فلسطين .

وولد ليعقوب أثنا عشر ولداً ذكراً عشراً من ليئة واثنان من راحيل هما يوسف وبنيامين . وبعد مدة ماتت راحيل كما يروى أهل الكتاب. ويقول تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ﴿١٠٠﴾﴾ [يوسف] فيحتمل أن راحيل عاشت حتى أدركت يوسف وزيراً فى مصر ويحتمل أن القرآن أطلق لفظ الأبوة على زوجة أبيه والله أعلى وأعلم .

بنى العزيز :

ولفظ الأب قد يطلق على الأم وهذا ما يعرف فى اللغة بتغليب الذكر على الأنثى وهذا كثير فى القرآن والسنة واللغة .

وبقية قصة يعقوب عليه السلام مندرجة فى قصة ابنه يوسف عليه السلام حيث بكى لفقده وحزن عليه حزناً شديداً حتى ابيضت عيناه من الحزن وعاد إليه بصره فارتد بصيراً لما ألقى القميص على وجه من البشر وغير ذلك من الأحداث الجسام والعبر العظام التى رويت فى قصة يوسف وحكاه القرآن فى سورة يوسف.

نبى الله
يوسف عليه السلام

مكانة يوسف فى قلب أبيه :

كان يوسف عليه السلام أحب أبناء يعقوب إلى قلبه، وأقربهم إليه فى خلقه، وكان رضى الخلق وديعًا صالحاً عابدًا كثير العبادة. وكان آية فى الجمال والحسن. وكان أجمل البشرية. وكان موقعه من أبيه وجماله سببا لفتنته وابتلائه، فصمد وصبر حتى مرت المحن بسلام وأنعم الله عليه واسبغ عليه من واسع فضله وآتاه الملك والنبوة.

رؤيا يوسف :

فى ليلة من الليالى بينما كان يوسف نائما رأى رؤيا تعجب لها، فلما أصبح قصها على أبيه ﴿قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف]

فقال يعقوب عليه السلام وقد أحس عظم هذه الرؤيا وخطورتها ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ⑤﴾ [يوسف]. ثم بشر يعقوب يوسف بالنبوة والاصطفاء قائلا له: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ⑥﴾ [يوسف]

المؤامرة :

كان إخوة يوسف يغارون من يوسف ويحسدونه على حب أبيه وقربه منه وعلى حسنه الفائق وصلاحه وتقواه، وكان يوسف كلما كبر ازداد حسنا ولعل يوسف حكى لإخوته الرؤيا أو سمعوه وهو يتحدث بها لأبيه فزاد حقدهم عليه وقرروا أمراً وتناجوا عليه وعقدوا العزم على تنفيذه ﴿قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ⁽٨⁾﴾ [يوسف] وكانوا يعنون بأخيه بنيامين شقيق يوسف. وكانت صدورهم تخفى حقداً أشد وأعظم فلم يكونوا على مستوى بيت النبوة وأبوهم عليه السلام نبى يوحى إليه. وهو يدعوهم إلى الله قبل أن يدعو سائر الناس فكيف يرتكبون جريمة شنعاء لا مثيل لها: إذ اتفقوا على خطة للتخلص من يوسف بالقتل أو الإبعاد فى أرض بعيدة ليخلو لهم وجه أبيهم وحبه كما زعموا قال بعضهم: ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ⁽٩⁾﴾ [يوسف] أى وتتوبوا بعد ارتكاب هذه الجريمة ولكن كبيرهم قال: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ⁽١٠⁾﴾ [يوسف]

واتفقوا على التدبير الأخير. ثم دخلوا على أبيهم وأخبروه أنهم يريدون أن يذهبوا إلى البرية فى صباح اليوم التالى ليتنزهوا ويتريضوا وأنهم يودون أن يكون يوسف فى صحبتهم ليلعب ويأكل ويمرح فاعترض يعقوب لعلمه بأنهم لا يحبونه وخشى أن يفعلوا به شيئا فقال لهم: ﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ⁽١٣⁾﴾ [يوسف] وذلك بعد أن قالوا له: ﴿يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ⁽١١⁾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ⁽١٢⁾﴾

[يوسف]

﴿قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ [يوسف]

وبعد محاورة ومجادلة وإلحاح وافق يعقوب على طلبهم وأخذ عليهم العهد أن يحافظوا عليه .

تنفيذ المؤامرة :

﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [يوسف] فقد جاءوا ليلاً حتى لا يتفرس أبوهم فى وجوههم ويرى عليها علامات الكذب ومعنى وما أنت بمؤمن لنا: أى وما أنت بمصدق لنا. ثم قدموا دليلا مزيفا وهو قميص يوسف ولطخوه بالدم ونسوا أن يمزقوا ويحدثوا به آثار أنياب ومخالب الذئب المزعوم .

فأمسك يعقوب بالقميص وقال ساخراً: ما أرفق هذا الذئب على ولدى لقد افترسه دون أن يمزق قميصه .

﴿وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يوسف] واشتد حزن يعقوب عليه السلام على يوسف وبكا حتى عشيت عيناه وابيضتا .

يوسف فى الجب :

وقضى يوسف عليه السلام فى البئر التى ألقى فيها ليلة رهيبة، فالظلام حالك والبرد قارس، والخوف يملأ قلبه فى وحدته فى هذا البئر الموحش ولكنه اعتصم بالله، ودعاه متوكلا عليه. ومرت بالبئر قافلة بعد ليلة أو عدة ليال قضاها يوسف فى البئر فأرسلوا أحدهم ليستقى لهم. فلما أدلى دلوه تعلق به يوسف وارتفع فلما أحس ثقل الدلو ثم رآه قال: يا بشرى هذا غلام واتفق السيارة على أن يتخذوه بضاعة ويبيعوه فى سوق العبيد فى مصر التى يقصدونها .

بيع يوسف لعزيز مصر :

وبيع يوسف عليه السلام فى سوق النخاسة بدراهم قليلة وكانوا فيه من الزاهدين ولعلهم فرحوا بالمال الذى تقاضوه دون استحقاق وبظلم ظلموه ليوسف بدلاً من أن يعيدوه إلى أهله أو يرسلونه مع من يعيده لأبيه، ولكن تصرفوا كالصوص ولعلهم أسرعوا ببيعه خشية أن يستدل عليه أهله أو مجاملة للعزيز لما يرجونه من خير لديه وهو فى موقع المسئولية فى مصر ككبير الوزراء ورئيسا للشرطة فربما طمعوا أن يحط أو يخفف عنهم الضرائب التى تحصل من التجار.

وكان العزيز متقدما فى السن لم ينجب أطفالاً ففرح به وذهب به إلى أمرأته قائلاً لها: ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا (٢١)﴾ [يوسف] وفرحت به امرأة العزيز لشبابه وجماله وما يبدو عليه من علامات السمو والرفعة والشرف والنجابة.

فى بيت العزيز :

وخرج يوسف عليه السلام من محنة الجب ليدخل فى محنة العبودية وفى بيت العزيز تعلقت به امرأة العزيز وكانت صغيرة السن رائعة الجمال وكانت تراقب ترعرعه ونضوجه وفتوته وشبابه وجماله ويزداد قلبها تعلقا به يوماً بعد يوم. وكان هو يزداد نضوجا واكتمالا وقربا من الله تعالى ويقينا وعلما وإيمانا وحكمة.

وفى يوم، وكان العزيز خارج الدار فى بعض شئونه استقرت رغبة امرأة العزيز فى يوسف ورتبت لهذا اليوم بصرف الخدم وغلق الأبواب وهيئة نفسها بالزينة بكل صنوفها وتفننت فى إظهار جمالها وحسنها وقالت ليوسف (هيت لك) أى تهيأت لك فامتنع وأبى وقال: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ (٢٣)﴾ [يوسف] والمثوى هى الإقامة والمعيشة. كيف أخون رجلا يملك رقبتى ؟ كيف أخون سيدى الذى أكرمنى ونجانى ورعانى وأحلنى هذا المقام الكريم فى داره .

ولكن المرأة لم تسمع لتحذيره، فقد استبدبها الهوى فلاحقت يوسف فى مخدعها وهو يفر منها ولعله هم بضربها ثم تراجع لئلا يسئ إلى سيده أو تدعى أنه تهجم عليها ولما رفضت ضربها، وتداركه ربه ففر منها واستطاع فتح الأبواب إلى أن وصل إلى باب القصر الرئيسى وهى تشد من قميصه حتى قطعته من الخلف .

سيد عند الباب :

وفوجئ الإثنان: يوسف وامرأة العزيز وبعض المفسرون يقولون إن اسمها زليخا. فوجئا بدخول الزوج ومعه ضيف من أقربائها فقالت تريد نفى التهمة عن نفسها وإلصاقها بيوسف عليه السلام ﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾ [يوسف]

ونطق يوسف مدافعا عن نفسه: ﴿ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي ﴿٢٦﴾﴾ [يوسف] أى هى التى أرادتنى على الفحشاء .

ذكاء الشاهد وقضاؤه :

وأصابت الزوج دهشة وحيرة، وصمت كأنما أصابته صاعقة من هول المفاجأة فنطق قريبها: لئن كان قميص يوسف ممزقا من الأمام تكون فى دعواها صادقة. وإن كان قميصه مقطوعا من الخلف تكون كاذبة وهو من الصادقين. وأمام هذه الحجة المنطقية وذكاء الشاهد فى استدلاله وقضائه سكت الجميع. ثم نظروا فإذا قميص يوسف مقطعا من الخلف عندئذ نطق الزوج البائس ليدارى فضيحته فى أهله وحتى يكتم الأمر حتى لا ينتشر ﴿قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [يوسف]

فأمر يوسف بكتمان ما جرى داخل جدران القصر وأمر زوجته أن تستغفر

لذنبها ووصفها بأنها كانت من الخاطئين .

دموع الخير :

لكن خبر الفضيحة لم يبق طى الكتمان فقد شاع وانتشر، وتحدث به النسوة فى مجتمعاتهن وزياراتهن: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٣٠)﴾ [يوسف] ولعل الخبر تسرب عن طريق الخدم. ولعل النسوة كن يردن أن يرين يوسف ويراودنه عن نفسه كما فعلت امرأة العزيز وقد سمعن عن حسنه وجماله وبهائه وفتوته ونضوجه ومهابته وعلمه ودماثة خلقه. وادركت امرأة العزيز ذلك فبادلتهن مكراً بمكر ودعتهن فى قصرها .

النسوة فى ضيافة امرأة العزيز :

أرادت امرأة العزيز أن تخرس ألسنة نسوة الكبراء الذين يلوكون سمعتها بألسنتهم فدعتهن ذات يوم إلى وليمة فى قصرها، فحضرن وأعدت لهن طعام يحتاج إلى إستعمال السكاكين للتقطيع والتقشير مثل التفاح أو البطيخ وناول الخدم السكاكين للنسوة ، ولما شرعن فى تقطيع الفاكهة والسكاكين فى إياديهن أصرت يوسف أن يخرج عليهن فلما رأينة بهرهن جماله ومهابته وجلاله وأصابهن الذهول فجرحن إياديهن بدلاً من تقشير الفاكهة وتقطيعها فسالت منهن الدماء وقلن فى لهفة وإعجاب .

﴿.. حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (٣١)﴾ [يوسف] عندئذ قالت لهن أمرأة العزيز: ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ (٣٢)﴾ [يوسف]

يوسف فى السجن :

ولما رأى العزيز والكبراء من أهله وأهل زوجته أن الخبر قد شاع اتفقوا أن

يضعـوا يوسف عليه السلام فى السـجن حتى تهدأ الفضـيحة وينسـاها الناس بعد حين .

وكـان يوسف قد دعـا ربه: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ (٣٣) فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٤) ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ (٣٥)﴾ [يوسف]

لقـد رأى يوسف أن عـزلة السـجن وظلامـه وقـهره خيـر له من الوقـوع فى الفاحشة وكانت هذه محنة أخرى وابتلاء عظيم .

وفى السجن كان عليه السلام. عاكفا على العبادة، وقد رأى فى زملاء السجن علامات الصلاح والتقوى ووجدوا فى العلم والنصح والذكاء .

وكان هناك رجلان دخـلا معه السجن فى نفـس يوم دخوله ولعلهما كـانا معه فى زنزانة واحدة، وعرفـا فيه صفاته الحمـيدة وسجاياه الكريمة وأخلاقـه العظيمة وعلمه الغـزير وأدبه الجم فسألاه تفسـير رؤيا رأياها ﴿قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٣٦)﴾ [يوسف]

وكان الأول: ساقى الـملك . وكان الثانى: خبـازه فقال لهما علـيه السلام ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ (٤١)﴾ [يوسف]

ثم قـال للذى ظن أنه ناج منهـمـا، وهو السـاقى: لا تنسى ذكـر قضيـتى عند الملك. وتذكر ظلامتى .

رؤيا الملك :

وصدق تعبير يوسف لرؤيا صاحبى السجن فنجا الساقى وأعدم الخباز لأنه شارك فى مؤامرة لقتل الملك بدس السم فى الخبز، أما الساقى فرفض أن يدس السم فى الخمر، واتضحت براءته بعد المحاكمة. ولكن الساقى نسى يوسف ولم يذكر قصته للملك ولعله شغل بعد خروجه من السجن وتناسى الأيام التى قضاها فى السجن بمتاعبها وآلامها ورعبها. وكان الشيطان هو الذى أنساه عرض ظلامة يوسف للملك .

حتى صحا الملك ذات صباح على رؤيا افزعته وأهمته. فجمع المنجمين لتأويلها. وأخبرهم أنه رأى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف ضعاف، وسبع سنبلات يابسات التفت على سبع سنبلات خضر. ففكروا، وقلبوا الأمر على جميع وجوهه، وعجزوا عن تأويلها فقالوا كما حكى القرآن: ﴿**قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلامِ بِعَالِمِينَ** (٤٤)﴾ [يوسف]

وسمع الساقى هذا الحوار، فتذكر حينئذ صاحب السجن يوسف عليه السلام. فقال للملك: إن فى السجن، حيث كنت محبوسا، رجلا عالما بالتأويل. وقد صدق معى فى تأويل رؤيا رأيتها وقصها على الملك وقص عليه تأويل يوسف لها. فأرسلنى إليه آتيك بتعبيرها على الوجه الصحيح .

ودخل الساقى على يوسف فى السجن وقال له: ﴿**يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ** (٤٦)﴾ [يوسف]

قال يوسف :

﴿**تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ** (٤٧) **ثُمَّ**

يأتي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ (٤٨) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ (٤٩)﴾ [يوسف]

بنى العزيز :

انظر إلى أدب يوسف عليه السلام وحكمته بأنه قال تزرعون بصيغة الفعل المضارع ولم يقل ازرعوا بصيغة الأمر ثم هون عليهم شدة السنوات السبع فإن بشرهم بعام بعدها يأتى فى الرخاء بعصر ما يعصر من سمسم وزيوت وغيرها. وعلمهم كيف يحفظون سنابل القمح حتى لا يأكله السوس فكم كان عليه السلام ذكياً لبقا حكيما عالماً .

فانشرح صدر الساقى لنجاح مهمته وطار مسرعاً إلى الملك يبشره بهذا النجاح فسر الملك وأعجب بيوسف وأرسل من يطلق سراحه من السجن .

إستجواب النسوة :

رفض يوسف عليه السلام أن يخرج من السجن حتى تظهر براءته ويحقق مع النسوة لجلاء الحقيقة وكشف ما وقع عليه من الظلم. فاستجاب الملك لما طلبه يوسف وأجرى تحقيقاً مع النسوة بعد أن جمعهن ومعهن امرأة العزيز وسألهن عن قضية يوسف فقلن: ﴿قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ (٥١)﴾ [يوسف]

﴿قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٥١)﴾ [يوسف]

خروج يوسف من السجن وتوليه الوزارة :

عندئذ أمر الملك بالإفراج عن يوسف وإحضاره إلى قصره ليستخلصه لنفسه وقال له: ﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ (٥٤)﴾ ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ (٥٥)﴾[يوسف] وذلك لما خيره فى أى منصب يتولاه ليدير أزمة الغذاء

لتمر بسلام. وهكذا مكن الله تعالى ليوسف فى الأرض ورفع منزلته وأحبه الملك وشعب مصر ونجح فى إدارة الشئون الإقتصادية والمالية لمصر، وأمد الدول المجاورة بالقمح إبان المجاعة التى طالت مصر والبلاد المجاورة لها ومنها بلاد الشام موطن أبيه يعقوب وإخوته .

إخوة يوسف فى مصر لطلب المسيرة :

أرسل يعقوب عليه السلام أولاده إلى مصر طلبا للغذاء. فلما دخلوا على يوسف عرفهم ولم يعرفوه لطول مدة فراقهم له ولم يعرفهم يوسف بنفسه فى هذه المرة . وقدم لهم ما جاءوا من أجله. وأوفى لهم وزاد وبالغ فى إكرامهم والحفاوة بهم ليعاودوا المجئ إليه فى أعوام تالية، وجاذبهم الحديث حتى رووا له قصتهم وأنهم أبناء نبى الله يعقوب الذى يقيم بالشام وأن لهم أخ فقد وأخ آخر غير شقيق اسمه بنيامين فطلب منهم إحضاره فى قابل وإلا فلا كيل لهم عنده ولا يقربوا ووعدهم بإعطائه حمل بعير زائداً عن تموينهم .

﴿قَالَ ائْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلا تَرَوْنَ أَنِّى أُوفِى الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ (٥٩) فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِ فَلا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلا تَقْرَبُونِ (٦٠)﴾ [يوسف]

قال ذلك فى شوق بالغ للقاء أخيه الحبيب وخوفاً عليه من إخوته أن يفعلوا به كما فعلوا به هو من قبل .

طلب إخوة يوسف بنيامين من أبيهم :

وأمر يوسف عليه السلام فتيانه أن يضعوا المال الذى دفعه أخوته فى أكياس القمح خفية. فلما وصلوا إلى ديارهم، ودخلوا على أبيهم .

حدثوه بما جرى وأن عزيز مصر قد طلب منهم إحضار أخيهم بنيامين فى الرحلة القادمة إن أرادوا مسيرة تموين جديدة وإلا فلا كيل لهم ولا يقربونه.

فقال يعقوب عليه السلام : ﴿ قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاَّ كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ﴿٦٤﴾ ﴾ [يوسف]

ثم عقب بقوله: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [يوسف]

ثم مال إلى أن يجيبهم إلى طلبهم لا ضطرارهم إلى القمح فى ظل المجاعة التى كانت منتشرة فى بلاد عديدة فى ذلك الزمان .

ولما فتحوا أكياس الحبوب ليفرغوها فى صوامعها ، وجدوا مالهم كما هو قد رد إليهم فقالوا لأبيهم: ﴿يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ ﴾ [يوسف]

فأخذ عليهم يعقوب عهداً وميثاقاً غليظاً فى المحافظة على بنيامين والعودة به سالماً. إلا أن يغلبهم أمر فوق طاقتهم وقدرتهم .

﴿ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلاَّ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ﴿٦٦﴾ ﴾ [يوسف]

فأعطوه العهد والميثاق، وعندئذ قال: ﴿اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ ﴾ [يوسف] وأوصاهم أبوهم ألا يدخلوا مصر من باب واحد، بل يدخلوا من أبواب متفرقة، حتى لا تصيبهم عيون الحساد لكثرتهم وجمالهم وفتوتهم أو ليدعوا الشبهة فى أن يظن ظان أنهم عصابة من الأعداء أو الجواسيس .

يوسف وبنيامين :

ودخلوا على يوسف فى السفرة الثانية، ومعهم أخوهم الصغير بنيامين شقيق يوسف. وما كاد يوسف يرى أخاه الحبيب حتى تحركت فيه بقوة مشاعر الشوق والحنين، فأواه إليه فى عزلة عن أعين إخوته. وأخبره أنه أخوه يوسف. وطلب إليه كتمان السر ثم أوسعه ضما وتقبيلاً .

وبعد أن جـهزهم بجهـازهم وأعطاهم فوق حقـهم كاد لهم، بأن جعل كـأسه الذى يشرب بهـا الماء فى رحل أخـيه وكـانت ذات قيمـة عاليـة، ولـم يدروا بهذه الحيلة.

فلما تحـركوا قليلا من المكان، أدركـهم فتيان يوسف وشـرطته، ونادوهم أن يتوقفوا فإن امراً مهما قد حدث .

فقالوا: وما ذاك ؟

فقيل لهم: ﴿قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ (٧٢) قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ (٧٣)﴾ [يوسف]

فقال لهم الحرس لابد من البحث والتفتيش فى رحالكم. وقبل ذلك نسألكم. ما جزاء من نجد الصواع فى رحله ؟ .

قالوا: جـزاؤه العقـاب المقـرر فى القانون. وكـان الشرع فى دين يعـقوب أن يؤسر السارق ويستعبد لمن سرقه. ولم يكن القانون كذلك فى قانون مصر. وأخذ الحرس ينقـبون فى الرحال، وقـد بدأوا برحال الإخـوة قبل رحل بنيامـين حتى لا يلفتوا النظر.. حتى وجدوا الصواع فى رحل بنيامين. وحاول الأخوة أن يستعطفوا يوسف، ويسترضوه فيأخذ أحدهم مكان بنيـامين. رحمة بأبيه الشيخ الكبير: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلاَّ مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ (٧٩)﴾ [يوسف]

وانتحوا جانبا يتناجون ويتشاورون ماذا يفعلون. فقال كبيرهم (روبيل)

﴿أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (٨٠) ارْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلاَّ بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ (٨١)﴾ [يوسف]

فإن لم يصـدقكم فاطلبـوا إليه أن يسـأل أهل البلدة التى كنا فيـها والعـير التى أقبلنا فيها واقسموا على صدق روايتكم ﴿**وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٨٢)**﴾ [يوسف]

محنة جديدة ليعقوب :

وحـدث الأبناء أباهم بالواقـعـة، وأقـسـمـوا بأغلظ الأيمـان على صـدقـهم، واستشهدوا الشهود، لكن يعقوب عليه السلام شك فيهم لسابق إجرامهم وكذبهم وما فعلوه من قبل فى يوسف. وأزداد حـزنا على حزن، وألما على ألم وقال: ﴿**بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٨٣)**﴾ [يوسف]

واشتـد بكاؤه، وتجددت ذكـريات الحزن علـى يوسف، فأخذ يـردد ذكره من جديد فى لوعـة وأسى. فقـال له أهله وأقرباؤه: ﴿**تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ (٨٥)**﴾ [يوسف]

أى إنك باستـمرارك على تجـديد الأحزان على يوسف تـوشك أن تمرض أو تموت. يحذرونه من مغبـة هذا الحزن. فقال لهم: ﴿**قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨٦)**﴾ [يوسف]

يوسف عليه السلام يكشف عن شخصيته لاخوته :

وعاد الإخـوة إلى مصر فى عـام مقبل وهى الرحلة الثـالثة بناء على أمـر أبيهم الذى زودهم بنصائحه فقال: ﴿**يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ (٨٧)**﴾[يوسف] وكانت هذه السفرة من أجل طلب المسيرة والاطمئنان على بنيامين .

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [يوسف]

فدخلوا عليه بذلة ومسكنة وأحوجهم الله تعالى إلى يوسف الذى فعلوا به وبأبيه الأفاعيل وطلبوا منه الصدقة واعتذروا عن رداءة بضاعتهم التى يبادلون بها أو رداءة دراهمهم التى يشترون بها وشكوا إليه الفقر والفاقة وما أصابهم وأصاب أهلهم من البؤس والحرمان .

فلما رأى يوسف ما هم عليه من الذل والمسكنة وسوء الحال والسؤال والضعف والهوان، وقد أخذته الشفقة، وقد بلغ ما يريده من تقويم سلوكهم وانحرافهم كشف لهم عن نفسه: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [يوسف]

وأدرك الإخوة أنهم أمام يوسف بعد أن ربطوا بين أحداث القصة من أولها إلى لحظتهم التى هم فيها فقالوا: ﴿أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ﴿٩٠﴾﴾ [يوسف]

﴿قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [يوسف]

فاعترفوا بجهلهم وذنوبهم، فقال لهم: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾[يوسف] أى لا ملامة عليكم ولا خوف.

وسألهم عن أبيه فأخبروه بسوء حاله، وما هو فيه من الهم والحزن والبكاء. فرق يوسف عليه رقة بالغة، ثم قال لهم: ﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [يوسف]

معجزة القميص :

حين تحركت القافلة التى فيها الأبناء راجعين إلى أبيهم قال يعقوب عليه السلام رغم بعد المسافات لم حوله من الأقارب والأحفاد .

﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾﴾ [يوسف]

أى إنى لأشم ريح يوسف رغم أنكم قد تتهمونى بالخرف وفساد العقل.

﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾﴾ [يوسف]

وهذا منهم رد بذئ وتطاول على مقامه الرفيع، فكأنهم يقولون: لقد مضى على أختفاء يوسف سنوات طوال، وأصبح خبره فى طى الكتمان وطواه النسيان، وأنت مستمر على ذكره. إن هذا إلا ضلال، وتعلق بالأوهام. ولما وصلت القافلة، ودخل الأبناء على أبيهم. وألقوا القميص قميص يوسف على وجهه أخذه بلهفة وتشممه، وسكب عليه دموعاً غزيرة ، دموع الفرح والسرور. وعاد إليه بصره كما كان ثم التفت إلى من حوله وقال ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾

[يوسف]

واستغفر الأبناء من أبيهم فقال لهم ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾﴾ [يوسف]

إجتماع الشمل :

وحمل يعقوب أهله على جناح السرعة يسبقه شوقه ولهفته إلى يوسف، وارتحل إلى مصر .

واجتمع شمل الأسرة بعد تفرق دام طويلاً، وبعد حزن وآلام، وخر الأبوان والإخوة بين يدى يوسف فى إنحناء تحية وتكريم. وهذا الإنحناء كان جائزاً فى ملتهم وحرم فى ديننا .

قال يوسف عليه السلام لأبيه: ﴿وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا (١٠٠)﴾ [يوسف]

ثم رفع أبويه على العرش (كرس الحكم) وحوله الحاشية والأعوان تكريما له وتشريفا وتراضياً .

واستأذن يوسف من الملك فى إقامة أبيه وأهله فى مصر فأذن لهم ورحب بهم فاختاروا منطقة الشرقية، وضربوا فيها خيامهم، ورعوا أنغامهم وجعلوا مصر مقراً لهم وعاشوا فى ظل الحفاوة والتكريم بين أهل مصر وبعد حين مات يعقوب عليه السلام فحزن عليه يوسف. ثم لما أحس يوسف عليه السلام بدنو أجله دعا ربه قائلاً: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (١٠١)﴾ [يوسف]

وختم الله هذه القصة ببيان ما انطوت عليه من العظة والعبرة ، وما تشمله من مناهج الهدى، ومنابع الرحمة فقال عز وجل: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١١١)﴾ [يوسف]

وقد أنزل الله تعالى هذه السورة لتسلية الرسول ﷺ والصحابة وتثبيتهم. وقد كان هناك، وجه للتشابه بين يوسف والرسول ﷺ حيث تعرض كل منهما للابتلاء والمحن ولاقى كل من النبيين الكريمين من الأقارب الأذى وسجن يوسف وحصر النبى ﷺ فى شعب أبى طالب وأوتى يوسف تعبير الأحلام وكذلك النبى ﷺ وغير ذلك من وجوه الشبه بينهما صلى الله تعالى عليهما وعلى جميع الأنبياء والمرسلين .

شعيب عليه السلام

أرسل الله عز وجل إلى مدين أخاهم شعيبا، يدعوهم إلى عبادته عز وجل وحده، ويحذرهم من عبادة غيره، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويحضهم على مكارم الأخلاق بالحكمة والموعظة الحسنة .

وكان أهل مدين كفاراً بغاة يقطعون الطريق ويخيفون المارة، ويعبدون الأيكة، وهى شجرة من الأيك حولها غيضة (غابة) ملتفة بها .

وكانوا يبخسون المكيال والميزان، ويطففون فيهما. يأخذون بزيادة عن حقهم ويدفعون بالناقص، فلما دعاهم شعيب إلى التوحيد ونهاهم عن الشرك والإفساد فى الأرض والتطفيف فى الكيل والميزان ـ استجاب له بعضهم فآمن به، وكفر أكثرهم وسخروا منه، فأغلظوا له القول، ولم يبالوا بما حذرهم وتوعدهم به من عذاب الله ونقمته .

وكان شعيب خطيباً مفوها فصيح اللسان، قوى الحجة، له تأثير بليغ فى النفوس الطاهرة والقلوب الواعية، وهذا شأن جميع الأنبياء، فهم يتصفون بالصدق والأمانة والفطنة .

روى ابن إسحاق بن بشر عن جويبر ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ إذا ذكر شعيباً قال: «ذاك خطيب الأنبياء» (البداية والنهاية ج١ صـ ١٨٥) .

وقد ذكر الله تعالى قصته فى سورة الأعراف، وهود والشعراء، وغيرها.

فقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأعراف]

والبينة التى جاءتهم من ربهم هى معجزة خارقة للعادة وقعت على يديه تصديقا له فى دعوته .

كانوا يقعدون على الطريق يمنعون من المرور من شاؤا، ويأذنون لمن شاءوا، ويأخذون من المارة الضرائب والمكوس على المرور تبلغ عشر ما معهم أو أكثر، ويسلبون أموال من شاءوا، ويقتلون من شاءوا، يبغون أن تكون سبيل الله معوجة لا يسلكها أحد من أراد الهدى، فقد كانوا يؤذن المؤمنين ويحملونهم على العودة فى ملتهم بشتى الطرق، ويرغمونهم على السير فى الضلال والإفساد، وانتهى بهم الأمر إلى طريق مسدود، فالمؤمنون لم يتركوا دينهم الذى هداهم الله له مهما لاقوا من عنت وأذى، وقد ذاقوا حلاوة الأيمان بعد أن ذاقوا مرارة الكفر، فقرروا أن يعيشوا بإيمانهم سعداء . أو يموتوا بإيمانهم شهداء وسألوا الله أن يحكم بينهم وبين قومهم بالحق، ويقضى فيهم ما يشاء وهو الحكم العدل اللطيف. فلما يأس الكفار من رد المؤمنين عن دينهم، وأعيتهم الحيل أنذروا شعيباً ومن معه بأن يختاروا بين الرجوع إلى ملتهم والخروج من أرضهم، فما كان من شعيب عليه السلام إلى أن تلطف وأحسن إليهم القول، وأبلغ فى الحجة ولكن القوم كانوا

مصرين على الضلال فلم يعبأوا بما قال لهم بل تفننوا فى إيذاء المؤمنين، واغرى بعضهم بعضا بالبقاء على ملتهم ، والتمسك بالعادات السيئة والتقاليد المردودة التى تقارب ما كان يفعله قوم لوط .

قال الله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَ لَوْ كُنَّا كَارِهِينَ (٨٨) قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ (٨٩) وَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ (٩٠)﴾ [الأعراف]

وقد تكلم شعيب عن نفسه وعن المؤمنين بأسلوب يملك العقول والقلوب «قال أو لو كنا كارهين» أى كيف تكرهونا على دين لا نقبله وتخرجونا من وطننا ونحن شركاء فى هذا الوطن. وسع ربنا كل شئ علماً فهو سبحانه الذى يعلم مصائر الأمور وأما نحن فمطالبون بالإستقامة على الحق ، وأن نفوض الأمر إلى مالك الأمر على الله توكلنا فلا نعتمد إلا عليه ولا نثق إلا بفضله ، ولا نخضع إلا له، ولا ننتصر عليكم إلا به .

« ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق» فهذا تقرير الواقع، وأن الذى يحكم بين العباد بالحق هو الله سبحانه وتعالى، ولكنهم لم يقبلوا حكم الله بينه وبينهم لأنهم لا يؤمنون به ولا يعترفون بحكمه وقضائه، وقالوا فى كبرياء لأتباعهم لئن اتبعتم شعيباً فيما جاءكم به ودعاكم إليه لخسرتم السيادة والرئاسة والملك والمال، وصرتم كسائر الناس الذين دانوا لكم وخضعوا لسلطانكم .

واستمر شعيب يدعو قومه على بصيرة من ربه وهم يسخرون منه ويتوعدونه بالقتل والرجم .

قال عز وجل: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾ [هود]

لقد سخروا به واستهزاؤا به، وهم يعلمون أنه من أوسطهم نسبا، وأعرقهم شرفاً، وأرجحهم عقلاً، وأرشدهم رأيا، وأحسنهم خلقاً .

وقوله إنى أراكم بخير أى أتوسم فيكم الخير وأضن عليكم أن تكونوا من أهل الشقاوة وهو بذلك يحاول أن يتألف قلوبهم ليتخلوا عن عنادهم وكبرهم .

وأخذ شعيب عليه السلام يحذرهم ويذكرهم بما وقع للأمم السابقة، ولكنهم صموا آذانهم، وعطلوا عقولهم. وأنذروه بالرجم فأنذرهم بالعذاب ، وقضى الأمر فأخذتهم الصيحة التى صاحها جبريل عليه السلام فيهم فزلزل بهم الأرض فهلكوا عن آخرهم .

يقول تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ

إِنِّى عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِى دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾﴾

[هود]

قال لا يجعلنكم الخلاف بينى وبينكم على ارتكاب الجرم واكتساب المنكر لئلا يصيبكم مثل ما أصاب هؤلاء، وهم أقرب إليكم فى الزمن والمكان والجرم .

«اعملوا على مكانتكم» أى على ما أنتم مقيمون عليه من كفر وضلال «إنى عامل» على ما أنا عليه من الهدى والإنكار عليكم وسوف تعلمون من كان فى ضلال مبين ومن يأتيه عذاب يذله ، ومن هو كاذب، ولنرتقب ما يحل به العذاب ومن ينجيه الله تعالى، فأخذتهم صيحة العذاب، فأصبحوا ميتين لا حراك فيهم كأنهم لم يعيشوا فى بلدهم ولم يعمروها .

وقوم شعيب هم أهل مدين الذين اخذتهم الصيحة والظلة وهى سحابة تحمل حرًا شديدًا استمر سبعة أيام، وأسكن الله عنهم الهواء فهربوا إلى البرية فرأوا سحابة فاجتمعوا ليستظلوا بها، فلما اكتمل عددهم أرسل الله عليهم صيحة من السماء ترميهم بالشرر ، ورجفت بهم الأرض فهلكوا عن آخرهم ونجى الله تعالى شعيباً والمؤمنين معه . فجمع للكفار من أهل مدين بين عذاب الصيحة التى تحمل شررا وصوتاً مزعجا قاتلاً وبين الحر الشديد والزلازل المدمرة .

□□□

أيوب وذو الكفل
عليهما السلام

أيوب عليه السلام :

قال تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ [ص]

وقال: ﴿وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾﴾ [ص]

نسبه :

أيوب عليه السلام هو من أحفاد نبى الله إسحاق من ولده عيسو وهو أيوب بن موص بن رازح بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم وقيل فى نسبه غير ذلك .

زواجه :

عند ما شب أيوب عليه السلام تزوج من إحدى بنات لوط عليه السلام وكان أيوب نشيطا دؤوبا على العمل. رزقه الله رزقا واسعاً فكان ثريا واسع الثراء يملك الأراضى الزراعية والأنعام والماشية وكان كثير الأولاد. وكان عابداً صالحاً تقياً ورعاً .

رحلة إلى حوران من أرض الشام :

لما كثرت مواشى أيوب عليه السلام ، حتى ضاقت بها الأرض حيث كان يقيم فى فلسطين ، ساقها وحمل أهله واتجه بهم شمالاً، وأعجبته منطقة حوران حيث وجدها سهولاً فسيحة، ممطرة خصبة مخضرة، فأقام هناك واستقر.

العرب ودعوته :

ورغم غنى أيوب الواسع وكثرة أمواله وأنعامه وخدمه وبيوته، كان ذاكر لله شاكراً لأنعمه، داعيا الناس إلى ربه آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر ملتزماً بطاعة الله وعبادته والتوكل عليه .

الابتلاء العظيم لأيوب عليه السلام :

أراد الله تعالى أن يبتلى أيوب بالفقر فهل يصبر ؟

بدأ القحط والجدب يتسلل إلى أرضه ، فمنع عنها المطر فجف ذرعه وتحولت أرضه إلى أرض جرز لا زرع فيها ولا ماء بعد أن كان يملأ صوامعه بالغلال والثمار حتى تضيق، فاضطر إلى إنفاق كل ما عنده لينفق على نفسه وأهله والفقراء من اتباعه حتى نفذ ما له .

الابتلاء فى البدن :

تم ابتلاه الله فى بدنه، فأنزل به الأمراض والعلل وأسقمه وأوجعه حتى عجز عن القيام والحركة. وضمر جسده، ونحل عوده واستمر على ذلك سنين طويلة حتى قال: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنبياء]

وكان ذلك بعد أن وسوس الشيطان لإمرأته وجاءها فى صورة طبيب وزعم لها أن شفاء أيوب يتوقف على شربه للخمر .

ووقف على رأسه صديقان وهو ملقى فى عجز عن الحركة وقالا إن أيوب قد ارتكب ذنبا عظيما حتى فعل به هذا .

وأيضا فقد اضطرت زوجته أن تبيع ضفيرتيها واحدة بعد الأخرى. قيل أن مرضه استمر سبعة أعوام وقيل ثمانى عشرة سنة .

وكانت زوجته صابرة تسعى عليه وتتحمل الأذى فى صمت وكانت مضرب المثل فى الوفاء ﷺ .

بل لقد ابتلى أيوب أيضا فى أولاده فماتوا جميعاً .

وقيل إن الشيطان قال يارب لو ابتليت أيوب فى ماله ما عبدك وما شكرك فسلطه الله على ماله ، ثم قال لو ابتليت أيوب فى بدنه ما عبدك وما شكرك فسلطه على بدنه ثم قال لو ابتليت أيوب فى أولاده ما عبدك وما شكرك فسلطه على عياله فهدم عليهم سقف البيت فخر عليهم وقتلهم جميعاً كل ذلك وأيوب صابراً شاكراً حامداً ذاكر لله عز وجل .

رفع البلاءعن أيوب عليه السلام :

فى ذات يوم، وكانت زوجة أيوب غائبة عنه تؤدى عملا فى أحد البيوت. وأيوب عليه السلام وحيداً يعانى البلاء والأوجاع فدعا ربه فإذا برحمة الله تتداركه وجاء النداء من الله يوحى إلى أيوب: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٤٤)﴾ ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ (٤٢)﴾ [ص] فإذا بعين ماء تتدفق غزيرة صافية ، الماء تجرى متدفقة تحت قدميه، فشرب من الماء وغسل وجهه وأطرافه فاستعاد صحته وعافيته ونضارته وقوته، أفضل مما كان قبلا .

﴿رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (٤٣)﴾ [ص]

بر أيوب بقسمه :

عادت رحمة زوجة أيوب فلم تعرفه، فسألته أما رأيت هذا الرجل المبتلى ؟ فأنبأها أنه أيوب. وكان قد حلف أن يجلدها مائة جلدة لما أشارت عليه بما وسوس إليها الشيطان من شرب الخمر، فأوحى الله إليه بعد شفاءه تخفيفا عن هذه الزوجة الصابرة الوفية أن يمسها بضربة واحدة بعدد من عيدان البلح (مائة عود) وفاءاً للقسم ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ (٤٤)﴾ [ص]

ورد الله تعالى عليه ماله وما شيته وأولاده، أو رزقه بأولاد غيرهم جزاء صبره وشكره .

قال رسـول الله ﷺ : بينما أيوب يغـتسل عـريانا خر عليـه رَجْل جراد (أى طائفـة من الجراد) من ذهب فـجـعل أيوب يحثى (يـفرغ) فى ثوبه، فناداه ربه عـز وجل: يا أيوب. ألم أكن أغنيتك عما ترى؟ قال: بلى يا رب، ولكن لاغنى بى عن بركتك .

وعاد أيوب عليه السلام سيـرته الأولى فى الناس يعطى الفقراء ويوسع عليهم ويواسيهم ويطعم المساكين، ويدعو إلى الله تعالى .

ذو الكفل عليه السلام

لما كبر نبى الله (اليسع) عليه السلام .. وأحس بدنو أجله، أوحى إليه أن تخير من الناس من يسـتطيع أن يقوم بمـراعاة عـقائدهم ويحـفظهم من الإنحراف نـحو الوثنية وعـبادة الأصنام، وأن يحكم بالعدل والحق . فجـمعهم اليسع علـيه السلام وسألهم :

من يتقـبل منى بثلاث استخلفـه: (أى يكون خليفة لى)، يصوم النـهار، ويقوم الليل، ولا يغـضب !! وكـان هذا الاخـتيـار لتـرشيـح رجل صالح عـابد يتـصف بالتقوى والعقل الراجح لأن من يستطيع كظم غيظه ولا يغضب لنفسه كثيراً يكون عاقلاً لبقاً ورعاً يحكم نفسه قبل أن يحكم الناس ويكون لهم قدوة وإماماً .

فقام من بينهم رجل غير مشهور ولا معروف، من العامة .

فقال: أنا .

فسأله: أنت تصوم النهار وتقوم الليل ولا تغضب ؟!

فقال نعم .

فسكت عنه يومه ذاك . دون أن يجيبه .. لا بالموافقة ولا بالرفض .

ثم جمعهم فى اليوم التالى .. وكرر نفس السؤال ونفس الشرط. فقام نفس الرجل وقال . أنا .. فاستخلفه .

كيد الشيطان :

دخل إبليس فى هذا الأمر لصرف الرجل الصالح عما تعهد به ومعروف عن إبليس عداوته المستمرة لبنى آدم .

فقال إبليس لجنده: أنتم شر مكانا واضعف من أن تفتنوا هذا الرجل.. اتركونى له.. ولسوف أريكم فتنتى وإضلالى !

ثم جاء إبليس اللعين للرجل فى صورة شيخ كبير طاعن فى السن. فقير مسكين. عليه سيماء الصلاح والتقوى .

جاءه فى وقت القيلولة. وهى الفترة التى يرتاح فيها الناس بعد الظهر ليستأنفوا نشاطهم وعبادته فى الليل. والرجل الصالح يتقوى بهذه الراحة فى القيلولة ، لقيام الليل. لأنه كان يقوم الليل بكامله متعبدا مصليا داعياً .

وقرع إبليس عليه باب داره، فقام فقال: من هذا؟ فقال: شيخ كبير مظلوم .

ففتح الباب، وسأله عن ظلامته فقال إن بينى وبين بعض الناس خصومة فى حق هو لى.. وقد ظلمونى فى هذا الحق. وغصبوه منى . فأرجو أن تأخذ بيدى وتنصفنى منهم .

فقال الرجل: بعد أن طال عليه إبليس فى عرض شكواه وأذهب فترة قيلولته. ائتنى غدا فى مجلسى حين أنظر فى أمور الناس فإنى آخذ لك حقك إن شاء الله .

وفى اليوم الثانى ، جلس الرجل الصالح بين الناس من أصحاب المصالح، يقضى بينهم. وينظر هل فيهم الشيخ الكبير المسكين صاحب شكوى الأمس ! ! فلم يره .

وبعد أن عاد إلى داره ، وقد حل وقت قيلولته ومضجعه، وتمدد ليقضى فترة راحته، جاءه إبليس (فدق الباب) فقام صاحبنا إليه .. فإذا هو .. فقال له .

ألم أقل لك أن تأتنى فى مجلسى لأقضى لك بعد أن انظر فى أمرك !! ما الذى غيبك عنى ؟!!

فقال إبليس :

إن خصومى من أخبث الناس وأدهاهم، فإن عرفوا أنى سأقاضيهم إليك قالوا: نعطيك حقك..ويماطلونى فى الوقت حتى تنقضى فترة جلوسك ، ثم يمنعونى بعد ذلك .

وفات على صاحبنا قيلولته كما كان بالأمس، ولم يأخذ قسطه من الراحة.

وإنما كان إبليس. يفعل ذلك ليحرك فيه سورة الغضب ، ويخرجه عن طوره واعتداله واتزانه .

فقال صاحبنا لـ (إبليس) .

إذا ما جلست فى صباح الغد للنظر فى الأمور فائتنى .

وتكرر غياب إبليس عن مجلس صاحبنا. أيضا فى اليوم التالى.

ولما عاد إلى بيته قال لبعض أهله .

لا تدعن أحداً يقرب بابى حتى أنام فإنى قد شق على النوم يومين اثنين.

وجاءه إبليس. ودق الباب، فمنعوه من الدخول والسؤال ثم أبعدوه. وحاول أن يقنعهم بحاجته وضرورته ، فلم يستجيبوا له. ودار اللعين حول الدار حتى إذا ما وجد كوة (ثغرة) تسلق منها ثم هبط، فإذا هو فى صحن البيت. لم يره أحد. ثم اقترب من الغرفة التى يرقد فيها صاحبنا وقرع بابها. فقام صاحبنا من رقدته ففتح

وفوجئ بالرجل أمامه، فنادى على أهله، من غير ثورة ولا غضب، يؤنبهم ويلومهم على فتح الباب. فقالوا له. أما نحن فلم نفتح الباب فلننظر من أين دخل ؟ ففتش صاحبنا هنا وهناك حتى وصل إلى تلك الكوة، فأدرك من أين أتى وعرف فى الشيخ المزيف أنه «إبليس» اللعين، فقال له: أنت عدو الله وعدو خلقه وعباده، قاتلك الله !!

قال «إبليس»:

نعم أنا هو، لقد أعييتنى وأرهقتنى لإغضابك وإخراجك عن حلمك ونقض عهدك ووعدك . فلم أفلح .

وسمى الله تعالى صاحبنا «ذا الكفل» . لأنه تكفل بأمر فوفى به .

وقام «ذو الكفل» . عليه السلام. بأمر الناس وشأنهم خير قيام ما قدر الله تعالى له أن يقوم .

ذو النون "يونس بن متى" عليه السلام

قال رسول الله ﷺ : «لا ينبغى لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى» (رواه البخارى).

نبوة يونس ورسالته :

كان قوم يونس يعيشون فى نينوى بلدة شمال العراق قريبة من الموصل، قد مزقتهم تيارات الشرك والإلحاد، وقامت فيهم مظالم، وانتشر فيهم الفساد والفسق، وكان عددهم يبلغ حوالى ١٢٠ ألفا. فبعث الله تعالى نبيه ورسوله (يونس بن متى) ويسمى أحيانا «ذو النون» أى صاحب الحوت .

وكان شاباً تقيا ورعا صالحاً. فاصطفاه الله تعالى لرسالة وأرسله إلى هؤلاء القوم ليصلح فسادهم ويقوم أعوجاجهم ويردهم إلى توحيد الله سبحانه وتعالى:

موقف قوم يونس:

لكن القوم استكبروا ورفضوا دعوته بسبب ما تغلغل فى قلوبهم وعقولهم من الشرك .

الفرار :

ولما يأس منهم يونس عليه السلام، بعد أن أمضى فيهم زمنا يدعوهم وهم يرفضون الهداية، وقد عانى الكثير منهم، ضجر منهم وأنذرهم بعذاب يقع بهم بعد ثلاثة أيام. من الله تعالى يهلكهم عقوبة لهم بسبب ضلالهم .

ثم هم مغاضبا ورحل عنهم بعيدا، باتجاه البحر عند الخليج، على شط العرب. وركب سفينة توشك أن تغادر الشاطئ مبحرا معها حيث تبحر لا يعلم مكانا محدداً يذهب إليه .

فلما كانت فى عرض البحر، فى إحدى الليالى، هبت ريح عاصفة فمزقت أشرعة السفينة، وراح الموجى يتلاعبا بها واصبحت كريشة فى مهب الريح .

فساهم فكان من المدحضين

فقال ربان السفينة إن على هذه السفينة عبد آبق (هارب ماضى). ولابد من إجراء قرعة ومن وقعت عليه القرعة القيناه فى البحر لتنجو السفينة ومن عليها ووافق ركاب السفينة على ذلك فأجريت القرعة فوقعت على يونس، فأعادوا القرعة مرة ثانية وثالثة وهى تقع عليه.فقرروا إلقاءه فى البحر.فالتهمه حوت ضخم من حيتان البحر أوحى الله تعالى إليه أن ابلع عبدى يونس لا تأكل له لحما ولا تكسر له عظما فإنه ليس لك برزق. فامتثل الحوت امر ربه وابتلع يونس فى جوفه.

توبة يونس :

يقول تعالى: ﴿فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ (٩٨)﴾ [يونس]

فعندما خرج يونس من بين قومه تحققوا من ذلك واستيقظت ضمائرهم، وقذف الله تعالى فى قلوبهم التوبة والإنابة وندموا على ما كان منهم إلى نبيهم .

ولبسوا المسوح (الجلود) ثياب المعذرة والمسكنة والذلة ـ وفرقوا بين كل بهيمة وولدها، ثم تضرعوا إلى الله تعالى بالدعاء والرجاء وصرخوا وتمسكوا. وبكى الرجال والنساء ، والبنون والبنات، وحتى أرتفع صياح البهائم .

وكانت ساعة عظيمة هائلة. فكشف الله عنهم بحـوله وقوته ، ورأفته ورحمته، العذاب. الذى كان قريبا منهم. وقبل توبتهم .

تسبيح يونس فى بطن الحوت :

استـقـر يونس فى بطن الحـوت أيامـا، وظن أنه قـد مـات، فـحـرك أطرافـه فـتحـركت. فـإذا هو حى، وكـان الظلام شـديداً من حـوله فراح يسـبح الله ودعـاه وتضرع إليه ورجـاه لينقذه من هذه الشدة. وقال لأصلين لله فى مكان مـا صلى فيه أحد غيرى وقام يصلى فى بطن الحوت .

وكان من دعائه عليه السلام :

﴿فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (87)﴾ [الأنبياء]. فاستجاب له ربه ونجاه من الغم ومن الكرب العظيم. ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (143) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (144)﴾ [الصافات]

الحوت يلقى يونس بالعراء :

لفظ الحوت يونس عند شاطئ رملى بعيد كأمر الله تعالى له .

وكـان يونس كالفـرخ المـولود حديثـا ليس على جلده زغب ولا ريش حـين تعـرض لاشـعة الشـمس أحس بشئ مـن الألم وكان لا يقـوى على الحـركـة ولا يستطيع أن يفتح عينيه اللتين تعودتا الظلمـة. فأنعم الله عليه ورحمه وأدركته عنايته فأنبت عليه شجرة يقطين (قرع)، أوراقها كثـيفة وعريضة وناعمة الملمس، فظللته وحجبت عنه حرارة أشـعة الشـمس. ثم أكل من ثمارها فـاسـتـعاد بعض عـافيـته وقوته، فشكر ربه وأناب إليه. قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ (88)﴾ [الأنبياء]

□□□

موسى وهارون
عليهما السلام

بنو إسرائيل فى مصر :

لما أقام يعقوب عليه السلام مع يوسف فى مصر هو وأبناؤه تناسلوا وتكاثروا عبر مئات السنين وصار منهم أغنياء كبار أمثال هارون الذى حكى القرآن قصته وتحدث عن كثرة أمواله وثروته الطائلة، وكان فى عز وكرامة حتى تغيرت الأحوال وأساء الفراعنة معاملتهم خاصة أنهم كانوا يعيشون متميزين متحيزين فى مكان معين ولم يذوبوا فى المصريين. فكان المصريون يعرفون أنهم غرباء على بلدهم لاجئين إليها وليسوا من سكانها الأصليين، واشتد بعض الفراعنة عليهم وسخروهم فى الخدمة من غير أجر، وعاملوهم معاملة الرقيق .

دعوة موسى :

حتى كان عهد فرعون المذكور فى القرآن فى سورة طه والقصص والشعراء وغيرها من القصص. ولفظ فرعون لقب كان يطلق على ملوك مصر فى حقبة من الزمان، وقد اختلف المفسرون فى تحديد شخصيته وإسمه. وكان هذا الفرعون أقسى وأغلظ وأكفر من اعتلى عرش مصر. كان الفراعنة يدعون أنهم آلهة أو أبناء آلهة ، ويطلبون من الناس أن يعبدوهم .

ولقد أخبر العرافون والمنجمون فرعون أنه سيولد فى بنى إسرائيل غلام يسلبه ملكه، ويخلص قومه منه، ويكون هلاك فرعون على يده .

ففزع واضطرب ، وأمر بقتل الغلمان الذين يولدون فى بنى إسرائيل وعين لذلك جيشا من الجواسيس وألزم القوابل (الدايات) بالإبلاغ عن كل مولود يقمن بتوليده فى بنى إسرائيل: فيقوم الذباحون بذبحه. ثم أشاروا عليه أن يجعل الذبح سنة ويعفى منه سنة لئلا يتوحش بنو إسرائيل بموت كبارهم .

ولد موسى عليه السلام فى العام الذى يذبح فيه الأطفال أما قارون فولد قبل موسى فى العام الذى لا يذبح فيه الأطفال .

وموسى وهارون من سبط لارى وهو أحد أبناء يعقوب الاثنى عشر. ولما قاربت أم موسى على الوضع خشيت أن يكون مولودها ذكراً فيذبحه فرعون فأوحى الله تعالى إليها إما فى المنام وإما عن طريق ملك يكلمها ولا تراه أو بالقاء المعنى فى قلبها بحيث لا يدافع أن تضع مولودها حين تلده فى تابوت خشبى وتلقيه فى النهر ولا تخاف عليه ولا تحزن ووعدها بان يرده إليها ويجعله رسولاً نبيا إلى فرعون .

التقاط الصندوق :

وكانت أم موسى قد بادرت إلى تنفيذ أمر الله لما وضعت موسى فأرقدته فى تابوت وربطة فيه حبلا فكان إذا داهم البيت جواسيس فرعون القته فى اليم فإذا انصرفوا جذبته إلى بيتها. وفى مرة كبس عليها عيون فرعون فألقته فى التنور (الفرن) وهى ذاهلة لا تدرك أنها القته فى التنور حتى إذا انصرف أعوان فرعون تفقدته فلشد ما كانت دهشتها وقد رأته فى النار حيا سليماً لم يصبه لفح النار وحرها .

وفى يوم وكانت ملقية التابوت فى اليم انقطع الحبل وسار الصندوق فى النهر حتى وصل إلى بيت فرعون وكانت زوجة فرعون المؤمنة تطل من إحدى شرفات القصر المطل على النيل فرأت الصندوق فانتابها الفضول فأمرت الخدم أن

يحضروا لهـا الصندوق . فلما فتحتـه رأت غلاماً جميـلاً فدخلت محبتـه فى قلبها فاستوهبته من فرعون ورجته ألا يأمر بقتله .

قرة عين لى ولك :

وأدرك فرعـون أن الطفل قد يكون من بنى إسـرائيل وكان يريد قتله وزوجـته المؤمنة ترجوه ألا يفعل ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ [القصص]

وقالت لأخته قصيه :

كانت أم مـوسى قد طلبت من أخـته أن تتـبع آثاره، وتتابع ما يـجرى له وذلك بعد أن أصابها الهلع والخوف عليه، وثبت الله قلبها لتكون من المؤمنين فلا تجزع ولا تفقد صبرها ويقينها .

وتعرفت مريم أخت موسى على مكانه، وأبلغت أمها .

موسى لا يرتضع :

وبحثـوا له عن مراضع يرضـعنه، فرفض ثدى أى أمـرأة من النساء الكثـيرات اللاتى أحضرن إليه وأمرن بإرضاعه .

فقـالت أخته لأهل القـصر : ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ (١٢)﴾ [القصص] . فسـألوها وما يدفـعهم للنصح له وإخـلاص الكفالة فقالت يفعلون ذلك رغبة فى رضاء فرعون فاستبشروا بقولها وطلبوا إليها أن تفعل مسرعة، فأسرعت إلى أمها بالبشارة .

قال تعالى: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ (١٣)﴾ [القصص]

فحضرت أم موسى إلى القصر وأحتضنته والقمته ثديها ، فالتقمه .

موسى يتربى فى قصر فرعون :

كانت أم موسى تتردد به بين بيتها وقصر فرعون فقد طلبت من آسية بنت مزاحم أمرأة فرعون أن تأخذها إلى بيتها حتى تستطيع أن تربيه وترعى بيتها فأذنت لها على أن تأتى به إلى القصر بانتظام فى مواعيد حددتها لها ومرت سنوات السنوات وقد خبر موسى حياة القصور غير أنه لم ينغمس فيها لأن الله تعالى كان يعده للرسالة ويصنعه على عينه .

وعرف موسى أنه ليس ابنا لفرعون وامرأته، وأنه من بنى إسرائيل وعرف أمه وإخوته .

فوكزه موسى فقضى عليه :

فى ذات يوم وقد خرج موسى عليه السلام يمشى فى طرقات المدينة وفى وقت يقل فيه مرور الناس ، لقى شخصين يتقاتلان أحدهما من بنى إسرائيل والآخر من أهل مصر. وهما يتدافعان المصرى يريد أن يأخذه ليعمل بالسخرة لفرعون والإسرائيلى يأبى ويرفض، فلما رأى موسى استصرخه واستنجد به فدفع موسى المصرى بقبضة يده ليخلص منه الرجل الذى من شيعته فسقط ميتا، وكان الرجل من أعوان فرعون والعاملين فى قصره، فأدت الضربة إلى مصرعه دون أن يقصد موسى قتله .

واستشعر موسى عليه السلام الذنب وقال: ﴿قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾﴾

[القصص]

ثم أضاف:

﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ [القصص]

الهروب :

وفى اليوم التالى خرج موسى عليه السلام إلى المدينة أيضا، ولكنه كان خائفا يترقب خشية أن يفتضح سره ويؤخذ بما صنع .

ولقى نفس الشخص صاحب الأمس، الإسرائيلى يشتبك أيضا فى معركه مع مصرى آخر، فلما رأى موسى استصرخه ليعينه على عدوه كما فعل بالأمس فعاتبه موسى وقال له : ﴿قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾﴾ [القصص] ثم تقدم من المصرى يريد أن يرده عن صاحبه، فظن الإسرائيلى أنه المقصود بسبب عتاب موسى له، فقال لموسى: أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالأمس إن تريد إلا أن تكون جباراً فى الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين وبهذا كشف سر موسى، وعُرف أنه قاتل المصرى بالأمس، وأدرك موسى أن سيحاكم ويعاقب .

وجاء رجل مسرعا من أقصى المدينة اطلع على ما يدبر لموسى فى قصر فرعون بعد أن عرف سره، وقال له إنك فى خطر داهم ونصحه بالهروب من مصر فاستجاب لنصحه وخرج مسرعا فاراً من مصر وهو لا يعلم أين يتوجه ودعا ربه أن يهديه الطريق السوى واتجه صوب سيناء فقطع مفاوزها وجبالها وسهولها حتى خرج من حدود مصر دون أن يقبض عليه حراس الحدود، وكان الله تعالى يحفظه ويرعاه حتى وصل إلى مدين ببلاد الشام .

فى أرض مدين :

لما خرج موسى عليه السلام فاراً من مصر متجها جهة الشرق وعبر سيناء وصل إلى بلد بالشام تسمى مدين، وهناك وجد عند مائها طائفة من الرعاة يسقون ماشيتهم وأنعامهم، وفتاتين تقفان بعيدا عن الرعاة ومعهما ماشية يريدان أن يسقيان وتنتظران فراغ الرعاة من السقى، فسألهما ما شأنكما قالت لا نسقى حتى يصدر

الرعاء. أى أنهمـا يتجنبان مزاحمـة الرجال لاتصافهـما بالعفة والتقـوى ثم أخبراه عليه السلام بسبب خروجهما للعمل: وأبـونا شيخ كبير. أى لا يستطيع العمل مما اضطرهما للخروج خارج بيتهما ويفهم من هذا أيضا أنهما كانتا غير متزوجتين .

وهكذا بنى الصغير فإن المرأة ينبغى ألا تخرج من بيتها إلا لضرورة ولا ينبغى أن تخرج للتسـكع فى الطرقات والشوارع أو لإستعـراض ملابسها وزينتـها. يقول تعالى ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ** (٣٣)﴾ [الأحزاب] وينبغى للمسلم أن يعين المرأة ويساعدها فى قضاء مصـالحها لترجع سريعاً إلى بيـتها وهذا ما فعله موسى عليـه السلام. فسقى لهما ثم انتحى جـانبا وجلس فى الظل قائلا: ﴿**رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ** (٢٤)﴾ [القصص] ويقول الرسول ﷺ : «إن المرأة تقبل فى صورة شيطان وتدبر فى صورة شيطان فإذا خرجت من بيتها استشرقها الشيطان » .

والإسلام يا بنى العزيز يحافظ على المرأة تكريماً لها وحفظا لشرفها وعرضها ومنعاً للفساد وتحلل المجتمعات من جـراء السفور والخلاعة والإختلاط المحرم بين الرجال والنساء وهذا مشاهد فى هذا الزمان وواضح لكل ذى عينين .

بنى العزيز ... بنيتى العزيزة :

ولعل الفتاتين قد أدركتا أن موسى عليه السلام غريب فقير فقصتا القصة على أبيهما فأرسل إحداهما لتستدعيه إليه .

موسى عليه السلام فى بيت والد الفتاتين :

وكانت الفتـاتان قد وصلتا مبكـرتين على غير عادتهـما، فسألهمـا أبوهما عن شأنهما. فـقصتا عليه خبر مـوسى فأرسل إحداهما كما قلنا لاسـتدعاء موسى إلى الضيافة ولتقديم العون والشكر له .

فجاءته تمشى فى حياء وهذا شأن المرأة التقية الصالحة، وقالت له : إن أبى يدعوك إلى ضيافته ليجزيك على ما أسديت لنا من معروف .

تقبل موسى الدعوة، وطلب منها أن يمشى أمامها لما وجد الهواء يعبث فى ثوبها فقالت له وكيف أدلك على الطريق إذا سرت أمامى فقال لها ألقى حصيات تدلنى على الطريق. فعلمت الفتاة منه الأمانة بعد أن عرفت فيه القوة عندما سقى لهما ورفع غطاء البئر الثقيل الذى لا يستطيع رفعه إلا عدة رجال من الأشداء الأقوياء .

وفى الدار اجتمع موسى عليه السلام مع الشيخ الصالح والد الفتاتين فسأله عن شأنه وحاله فقص عليه قصته بكاملها فطمأنه وقال له لا تخف نجوت من القوم الظالمين .

ولما قدم إليه الطعام قال موسى إنى لا آخذ أجراً على عمل الخير فقال له الشيخ إنا قوم نكرم الضيفان ونطعم الطعام لوجه الله تعالى فأكل موسى ثم قالت إحدى الفتاتين لأبيها وقد انتحت به جانباً ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ [القصص]

فطلب الشيخ من موسى وعرض عليه أن يزوجه إحدى بنتيه على أن يعمل لديه ثمانى سنين أو عشرة حسب رغبته فوافق موسى عليه السلام وتم الزواج المبارك .

﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [القصص]

فهنا بنى العزيز بنتى العزيزة نلاحظ أن الفتاة المؤمنة عندما وجدت سبيلاً إلى أن تقر فى بيتها بوجود رجل صالح قوى أمين عرضت على أبيها أن يستأجره ولعلها كانت تلمح لأبيها من طرف خفى أن يزوجها، وقد فهم أبوها المراد بثاقب فكره ونور بصيرته فسعى فى زواجها وخاصة أن هذا الرجل الغريب عنهم (موسى عليه السلام) سيقيم بينهم سنين طويلة وسيتعامل مع أهل البيت والفتاتين ، وبهذا صار موسى زوجا لإحداهما ومحرم مؤقت للأخرى .

النبوة :

ولما أتم موسى الأجل وهو عشر سنين. استأذن فى الرحيل مع أهله والعودة إلى مصر فقد اشتاق إلى أمه وأخته وعشيرته، وظن أن طول مدة هروبه قد خفف من وطء الحادثة التى وقعت منه فى مصر .

وفى طريق العودة إلى مصر عبر سيناء حط موسى الرحال فى بقعة مباركة من أرض سيناء على مقربة من الوادى المقدس طوى. وكان البرد قارصا والليلة مظلمة لا قمر لها استأذن من زوجه التى كانت تعانى آلام الوضع أن يذهب ليأتيها بجذوة من نار يراها قريبة منه ليستدفئوا بها وتنير لهم الطريق ويحتمون بها من الوحوش الموجودة فى هذا المكان القفر الموحش .

﴿قَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (٢٩)﴾ [القصص]

ثم قصد إلى النار فوجدها تشتعل فى شجرة خضراء ويزداد توهجها فلا هى تحرق الشجرة ولا الشجرة تطفأها فتعجب من هذا المشهد أشد العجب فنودى **﴿نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٣٠)﴾** [القصص]

كلمه الله سبحانه وتعالى بلا واسطة ملك أو رسول وسأله عما فى يده لإيناسه وعرفه سبحانه وتعالى بنفسه وأنا اصطفاه واختاره لرسالته وبعثه إلى فرعون رسولا وامره باقامة الصلاة والتقوى والعمل للآخرة والاستعداد لها وحذره من أن يفتنه أحد من الخلق أو يصرفه عن تدبر مصيره وأمره أن يدعو فرعون إلى الإيمان بالله وتوحيده وأن يرسل معها بنى إسرائيل وأمره أن يدعوه برفق ولين وبالحكمة والموعظة الحسنة. رغم أن فرعون كان جباراً فى الأرض سفاكا للدماء وكان أشد الناس كفراً وظلما حيث أدعى الألوهية واستعبد له الناس من دون الله .

ولما سأل الله تعالى موسى عن ما فى يده قال: هى عصاى. أتوكأ عليها، وأهش بها على غنمى ولى فيها مآرب وأغراض غير ذلك فأطال موسى الحديث مع ربه ليأتنس به وينال شرف الكلام مع الله تعالى ثم استحى من إطالة الجواب فقال ولى فيها مآرب أخرى .

فأراد رب العزة تبارك وتعالى أن يجرى لموسى تجربة عملية على المعجزات التى سيواجه بها فرعون فأمره بالقاء عصاه على الأرض فتحولت بقدرة الله إلى حية كبيرة تسعى فى الأرض ويخرج منها صوت مرعب فأمره ربه أن يأخذها ولا يخاف فمد يده ولقد لفها فى منديل وأمسك الحية بحذر من فمها، فإذا هى فى يده عصا، قد عادت سيرتها الأولى .

ثم أمره ربه أن يدخل يده فى جيب قميصه، ثم يخرجها ففعل ، فإذا بيده تشع بالنور من غير سوء أصابها .

قال تعالى : ﴿ **فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (٣٢)** ﴾ [القصص]

وطلب موسى من ربه أن يشرح صدره لمهمته العظمى التى ألقاها على عاتقه وكلف بها، وأن يحل عقدة لسانه حتى يستطيع البيان فى أحلى صوره وبسط الحجج والبراهين الدامغة على صدق دعوته دون تلعثم، وطلب من الله تعالى أن يرسل معه أخاه هارون نبيا ووزيراً يشاركه فى دعوته ويشتد به أزره فقد كان هارون عليه السلام رجلاً صالحاً تقيا فصيح اللسان قوى الحجة عذب الحديث يجذب الأسماع والقلوب .

فاستجاب له ربه وأمره أن يذهب إلى فرعون مع أخيه ويدعو باللين ولا يتوانى فى ذكر الله هو وأخوه هارون .

ثم أبدى موسى عليه السلام لربه خوفه من فرعون وقد قتل منهم نفسا وقد يتعرض للإيذاء والقتل. فقال له ربه: لا تخف إنى معك أنت وأخيك اسمع وأرى وأحفظكما من كل سوء فلا يصل إليكم فرعون وملته بإيذاء ولا يقدرون عليكما.

لقاء موسى بهارون :

وصل موسى مع زوجته إلى مصر وقصد بيت أمه فاستقبلوه بلهفة وشوق بعد أن طال غيابه عنهم لمدة عشر سنوات. وأخبر أخاه هارون بأمر الله تعالى وأن الله قد أختاره نبيا ووزيراً معه .

فى مواجهة فرعون :

دخل موسى وهارون على فرعون وقالا له قولاً لينا. دعياه إلى عبادة الله تعالى وحده رب السموات والأرض وما فيهن. وتعددت بينهم اللقاء والحوارات قال فرعون، فمن ربكما يا موسى قال: ربنا الله الذى اعطى كل شئ خلقه (مقومات حياته) ثم هدى .

وطلب فرعون من كبير وزرائه هامات أن يبنى له صرحا (برجا) عاليا ليطلع منه على إله موسى الذى فى السموات .

وذكر فرعون موسى عليه السلام بتربيته عنده وليدا، كما ذكره فعلته من قتل المصرى. وسأله عن أخبار القرون الأولى ما شأنهم فقال موسى علمها فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى .

وعاند فرعون وتكبر وتجبر ورفض قبول الحق . ثم طلب إلى موسى أن يأتيه بينة على صدق دعواه فيما يقول .

فألقى موسى عصاه التى كان يحملها. فإذا هى ثعبان مبين ، ارتجف لمرآه كل من بمجلس فرعون وقام فرعون مذعوراً من فوق عرشه، فر هارباً داخل القصر ونادى موسى طالباً منه أن يكف هذا الثعبان فالتقطه موسى فعادت عصا فى يده كما كانت .

ثم ادخل يده فى جيبه، وأخرجها. فإذا هى بيضاء للناظرين، قد ملأت المكان ضياء باهر، وشعاعاً ظاهراً .

لكن فرعون ظل على عناده وطغيانه وكبره ، لا يستمع لصوت الحق ولا يستجيب لدعوة الصدق واتهم موسى بأنه ساحر. وصبر عليه موسى وهارون لعله يذكر أو يخشى أو يستيقظ ضميره .

موسى وسحرة فرعون :

دعا فرعون جميع السحرة من أنحاء المملكة لمبارة ومنافسة تقام بينهم وبين موسى بعد أن اتفق مع موسى على ذلك وحدد له موسى يوم الزينة وهو يوم عيد لهم. وأن تكون المقابله وقت الضحى .

فحضر السحرة ومعهم حبالهم وعصيهم وما استطاعوا من حيلة ومكر وخداع، واحتشد الناس فى ساحة عامة لينظروا لمن تكون الغلبة وقد أخذهم

الفضـول كل مأخـذ . وسأل السحـرة فرعـون أن يقربهم ويكافأهـم إن كانت لهم الغلبـة على مـوسى ، فوافـقـهم ووعـدهم بالعطاء الجـزيل والمقـام الكريم. قـال السـحرة لـموسى هل تلـقى عصـاك أولا. أم نكون نحن أول من يلقـى. فقـال بل ألقـوا. وأحس خـيفـة فـأوحى الله تعـالى إليه أن لا يخـف لأنه هو الأعلى. وألقى السحرة حبالهم وعصيهم وسحروا أعين الناس وأخافوهم بما ألقوا من حبل، فإذا الحبال والعصى تبـدو فى أعين الناظرين ثعابين تسعى ويصدر منها فـحيح مخيف يتردد فى أرجاء المكان وهذا سحر تخييل ولا يفلح الساحر حيث أتى .

إيمان السـحـرة :

وألقى موسى عصاه ، فإذا هى حية كبيرة تلقف وتبتلع كل الأفاعى التى تسعى فى الميدان، عندئذ خر السحرة ساجدين وقالوا آمنا برب العالمين .

وتحقـيق ذلك أن عين الساحـر لا تسحر فلمـا رأوا عصا مـوسى تحولت إلى ثعبان أدركوا أنها معجزة إلهية من عند الله سبحانه وتعالى.

وفوجئ فرعون بهذا الموقف الذى لم يكن يتوقعه وقد غلب وافتضح وأخزاه الله وخذله سـحرته الذين كانوا من أعوانه وجنده، وانتـفض غاضباً مـغيظاً ، وهدد السحرة وتوعـدهم بالقتل والتعذيب والصلب فى جـذوع النخل مثلة لهم ليكونوا عبرة لكل من يخالفه.. فلم يخافوا أو يتـراجعوا بل سخروا منه قائلين: إن قضائك علينا إن هو فى الحـياة الـدنيا. وربح مـوسى (عليه الـسلام) جـولته الكبـرى على فرعون، وهزمـه بفضل الله أمام حشـود الناس، هزيمة منكرة، واستمـال إليه قلوب الناس وعقولهم .

الآيات التسـع :

أيد الله تعالى نبيه موسى عليه السلام بتسع آيات بينات، منها العصا واليد .

فأصيب الناس فى مصر بآفات متتابعات ، على مدى بضع سنين، منها الجدب والقحط، ونقص الثمرات، ثم الطوفان (فيضان النيل)، ثم أرتال الجراد واسرابه، والقمل يفرى الأجساد. والضفادع تؤرق نومهم بنقيقها، والدم.. رعافا من الأنوف، ويجدونه فى طعامهم، فكانوا فى كرب وضنك يصرخون بالشكوى ويلجأون إلى موسى ليدعو ربه ليكشف عنهم البلاء. وفعل موسى واستجاب الله له. إلا أن أهل مصر وآل فرعون ظلوا على ولائهم للشيطان، يعبدون فرعون من دون الله ويكفرون بالله .

﴿قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٣٤) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ (١٣٥) فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (١٣٦)﴾ [الأعراف]

وطال عليهم الأمد فقست قلوبهم.. وازداد فرعون طغيانا وكفرا، وجمع فرعون مستشاريه وكبار دولته، ثم أعلن لهم حتمية قتل موسى الذى يفسد فى زعمه الناس والبلاد **﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ (٢٦)﴾** [غافر]

مؤمن آل فرعون :

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ (٢٨)﴾ [غافر]

وكان هذا الرجل من أقارب الفرعون قيل أنه شقيق زوجته ، وكانت امرأة فرعون آسية بنت مزاحم مؤمنة. وكانا يكتمان إيمانهما ولا يظهرانه مخافة بطش

فرعون وانتقامه . ولما سمع الرجل المؤمن عزم فرعون على قتل موسى كشف إيمانه وأسمع قوله الحق والصدق وحذر وأنذر. وخرج الرجل المؤمن مسرعاً إلى موسى عليه السلام يخبره بعزم فرعون على قتله وإبادة بنى إسرائيل كافة. وأوحى الله تعالى إلى موسى أن يخرج ببنى إسرائيل من أرض مصر على عجل فخرجوا بليل، متجهين شرقاً صوب سيناء عبر البحر الأحمر، ومنها إلى فلسطين التى خرجوا منها فى زمن يعقوب عليه السلام وتبعهم فرعون وجنوده فى جيش كثيف، مزود بالعدد والسلاح. فلما بلغ بنو إسرائيل البحر ورأوا ملاحقة فرعون وجنوده لهم ظنوا أنهم مدركون، فأوحى الله تعالى إليه ﴿ **فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (٦٣)** ﴾[الشعراء]. أى كالجبل العالى، فعبر موسى ومن معه، حتى إذا كان آخرهم عند البر الثانى، دخل فرعون وجنوده فى اليم فانطبق عليهم الماء من كل جانب وغرق هو وجنوده أجمعين .

فى أرض سيناء :

اكتسب بنوا إسرائيل صفات سيئة وأخلاقاً ذميمة من طول ما عاشوا حياة الخوف والذل. وألفوا حياة الضعف والمهانة والعبودية ومنها الجبن والتردد فكان موسى عليه السلام كلما دعاهم إلى النهوض ومتابعة السير إلى فلسطين تكاسلوا وتباطئوا خوفا من العمالقة الذين كانوا يقيمون فى فلسطين . وهم قوم نزحوا إليها من إحدى جزر البحر الأبيض. واستوطنوها.. وكان فيها الكنعانيون أهل فلسطين الأصليين. وكان العمالقة أقوياء جبارين. فكان بنوا إسرائيل يقولون لموسى عليه السلام ﴿**قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (٢٢)**﴾ [المائدة]

وقالوا أيضا لما ملوا دعوة موسى لهم بالدخول على الجبابرة: ﴿يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (٢٤)﴾ [المائدة]

وكان العماليق داخل فلسطين فى ذلك الوقت مشركين، فوعدهم نبيهم بتمكينهم من أرض فلسطين فلما جبنوا وأبوا الجهاد فى سبيل الله حرمها الله عليهم قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ﴾ [المائدة]

والآن ومنذ الفتح الإسلامى صار معظم أهل فلسطين مسلمين مؤمنين فلا حجة لبنى إسرائيل فى احتلال فلسطين وبعد هذه الألوف من السنين من لدن موسى حتى عصرنا هذا ولا مبرر لهم فى ذلك فقد رفضوا وعد الله ونكصوا عن الجهاد فحرم الله عليهم أرض فلسطين .

بنو إسرائيل يطلبون من موسى أن يأذن لهم بعبادة وثن :

وكان بنو إسرائيل متأثرين بجو الشرك الذى عاشوه مع الفراعنة، فلما مروا بسيناء على جماعة من الناس يعبدون الحجارة وقد نحتوها أوثانا وأصناما. فقالوا لموسى : ﴿قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (١٣٨) إِنَّ هَؤُلاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٣٩)﴾ [الأعراف]

فذكرهم موسى بالله وخوفهم بالله. وقوله مبتر ما هم فيه أى هالك .

جحود بنى إسرائيل نعم الله مع إكرام الله تعالى لهم :

أنعم الله تعالى على بنى إسرائيل وفضلهم على العالمين المعاصرين لهم، وانجاهم من بطش فرعون، ونجاهم من الغرق فى اليم، وأنزل عليهم المن (حلوى) والسلوى (طائر السمان) ليأكلوا فى سنوات التيه فى الصحراء. وضرب لهم موسى صخرة بعصاه، فتفجرت منه اثنتا عشرة عينا، بعدد أسباطهم وفروعهم.

ولكنهم جحدوا نعم الله تعالى عليهم. وطلبوا أن يستنبتوا الأرض ليخرجوا منها البقول: القثاء والثوم والعدس والبصل فقال لهم ربهم: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة] ثم ضربت عليهم الزلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله.

ميقات موسى عليه السلام :

كان هذا الميقات والموعد. عند جبل الطور. من أجل أن يتلقى موسى عليه السلام التوراة. فيها هدى ونور. وخرج موسى من بين ظهرانى قومه، وصام ثلاثين ليلة استعداداً للتلقى عن الله عز وجل. فلما كان اليوم الموعود طلب من ربه بعد أن كلمه تكليما، أن يراه ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (١٤٣) قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ (١٤٤)﴾ [الأعراف]

فتنة السامرى :

كان فى قوم موسى رجل يدعى السامرى، وكان من جنود الشيطان فلما غاب موسى أربعين ليلة، جمع السامرى الذهب والحلى من بنى إسرائيل التى كانوا قد استعاروها من المصريين وصنع لهم منها عجلا مجوفاً يدخل الهواء فى داخله فيسمع له خوار شبيه بخوار الثور. فعكفوا عليه يعبدونه من دون الله ويطوفون حوله وينشدون ويتغنون ويرقصون. ولقد نهاهم هارون فلم يستمعوا له واستضعفوه وكادوا يقتلونه . فلما عاد موسى إلى قومه وقد أخبره الله تعالى بما صنع قومه فرجع إليهم غضبا آسفا (حزينا) ورآهم على تلك الحال، أمسك بلحية

أخيه ورأسه غاضبا معاتبا.. وجره إليه فى شدة وقال: ﴿بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنْ بَعْدِى أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ [الأعراف] فقال هارون يا أخى لا تؤاخذنى فإن القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى، فتركه موسى واستغفر ربه له ولأخيه. ثم سأل السامرى عن فعلته فحاول تبريرها بأن هذا رأى رآه وسولت له نفسه به. فدعا على السامرى أن يصاب بمرض ليكون عبرة لمن يعتبر. أن يصاب بجلده فلا يطيق أن يمسه أحد من الناس، أو دعا عليه بمرض هشاشة العظام. ثم حرق موسى العجل، ثم قذفه فى اليم.

بقرة بنى إسرائيل :

اختلف بنوا إسرائيل فى قتيل قتل والقوا به فى الطريق على باب رجل منهم فأمر الله تعالى موسى أن يأمرهم بذبح بقرة فتلكئوا وأخذوا يسألون على أوصافها ولونها ثم أمرهم أن يضربوا القتيل بجزء منها فقام حياً بقدرة الله تعالى . وأنبأ أن ابن أخيه قتله ليرثه وأشار إليه .

موسى والعبد الصالح :

كان موسى عليه السلام يخطب ذات يوم فى الناس فسأل أى الناس أعلم فقال أنا فعاتبه ربه، ثم أمره أن يتوجه إلى مجمع البحرين. وهناك سيجد عبدا من عباد الله الصالحين اعلم منه وهو الخضر عليه السلام والخضر مختلف فى نبوته. فتلقى موسى على يديه دروساً عجيبة ورأى فيه مالم يصبر عليه ففارقه الخضر لأنه اشترط عليه ألا يسأله عن شئ حتى يحدثه له ويبينه ثم فسر له ما رآه وأنكره :

﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِى الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (٧٩) وَأَمَّا الْغُلامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا

وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾ [الكهف]

وتعلم موسى منه الكثير .

وفاته عليه السلام :

أدرك موسى عليه السلام الكبر ولم يدخل الأرض الموعودة مع قومه، وكان أخوه هارون قد مات قبله بعام. وتوفى ﷺ ونبئ بعده فتاه يوشع بن نون عليه السلام .

داود وسليمان
عليهما السلام

قال تعالى: ﴿اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ [1] إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾﴾

[ص]

وقال عز وجل: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾ [النمل]

دخل بنو إسـرائيل أرض فلسطين مع يـوشع بن نون. وأقـامـوا فى المـنطقـة الشرقية من أرض فلسطين حيث بيت المـقدس. وكانوا يدخلون فى حروب دائمة مع أعدائهم العمالقة الذين كانوا يسكنون الساحل الجنوبى عند غزة .

وكان بنو إسرائيل يحملون معهم التوراة فى حروبهم ، يجعلونها فى صندوق كالتـابوت يتباركـون بها فيـستفـتحون . وفى إحـدى المرات نزلت بهم الهـزيمة. واستـولى أعداؤهم على التـابوت الذى فيـه التوراة وبقيـة ممـا ترك آل موسى وآل هارون. فرجعوا فارين إلى ديارهم وهم فى غاية الحزن والأسى .

ملك طالوت :

مرت عليهم السنون وهم يتحسرون، ثم جاءوا إلى نبيهم يطلبون منه أن يسأل الله تعـالى أن يختـار لهم ملكاً يقودهم إلى الحـرب والنصر، وأن يـسترد هـيبتـهم

(١) الأيد : القوة .

وتوراتهم فقال لهم نبيهم شمويل أو صموئيل: إن الله اختار لكم طالوت ملكا فتعجبوا وقالوا أنى[1] يكون له الملك علينا وليس أكثرنا مالاً ؟ فقال لهم إن الله اختاره واصطفاه عليكم وعوضه عن الغنى ببسطة فى العلم والجسم. وإن لملكه آية. قالوا: وما هى ؟ قال: التوراة تأتيكم بها الملائكة فى التابوت .

طالوت وجالوت :

وجاءت الملائكة تحمل التابوت فيه سكنية[2] وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون وتحققت المعجزة ففرح بنو إسرائيل ورضوا بملك طالوت. واستعد طالوت للقتال. وجهز جيشا كبيراً. وخرج به إلى أرض العماليق. وفى الطريق أحسى الجند بالعطش بسبب طول المسير تحت أشعة الشمس المحرقة محملين بأثقال السلاح والعدد، والرمال من تحت أقدامهم كالحجر المشتعل. فقال لهم عما قريب نصل إلى نهر جار فأياكم أن تشربوا منه إلا من اغترف غرفة بيده يبل بها ريقه. فمن شرب منه فليس منى أى لا يتبعنى وليرجع إلى أهله وكان قبل ذلك قد أعفى من القتال من عنده ولائد من الأنعام ومن يبنى بيتا كان يكون الجيش فارغ القلب للقتال لا تشغله أمور الدنيا .

فلما وردوا النهر فشربوا إلا قليلا منهم وهم الذين تبعوا طالوت قيل كان عددهم كعدد أهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً .

جالوت وداود عليه السلام :

وكان جالوت ملكا على العماليق، شديد البأس بالغ الجرأة والشجاعة شديد القوة، يهابه الجميع ويخافونه. فلما التقى الجمعان طلب من يخرج إليه من جيش

---

(١) أنى : كيف ومن أين .

(٢) السكنية: قيل هى قطة تخرج من التابوت وتصرخ صرخة مفزعة تخيف الأعداء .

ليبارزه. فلم يبرز إليه أحد من جيش طالوت. وكان داود عليه السلام شابا يرعى الغنم خرج مع الجيش بطلب من أبيه «يس» وكان معه فى الجيش ثلاثة من إخوته.

وتقدم داود من الملك يطلب إليه الإذن بمنازلة جالوت فاستصغره واستصغر شأنه ، ورده أكثر من مرة، ثم إذن له بعد إلحاح.. وكان داود يحمل معه مقلاعا (١) وثلاثة أحجار، هى كل عدته وسلاحه .

ولم يخف من جالوت ثقة منه بالله تعالى وإيمانا به وتوكلا عليه. فوضع الحجر الأول فى المقلاع. ثم لوحه فى الهواء وأطاح به.. فوقع الحجر بين عينى جالوت فى جبهته. وأتبعه بحجرتان وثالث فسقط جالوت أرضا وهو جثة هامدة. وضج أفراد جيش طالوت، وفت فى عضد الأعداء وساءت حالتهم النفسية وروحهم المعنوية وفروا هاربين .

وقيل أن تلك الأحجار حدثت داود وقالت له خذنا فبنا تقتل جالوت إن شاء الله. وكان طالوت قد وعد من يقتل جالوت أن يزوجه ابنته ويشاركه فى ملكه .

مكانة داود :

عظمت مكانة داود عند الملك طالوت وعند شعب بنى إسرائيل فزوجه طالوت ابنته وعينه قائدا للجيش. وخاض داود الحروب والمعارك. فسجل كثيرا من الانتصارات على الأعداء. فتحقق له الملك والغنى والشهرة والجاه ولكن كل ذلك لم يشغله عن عبادة ربه وشكره والتذلل لعظمته وتسبيحه .. حتى كانت الجبال تردد معه تسابيحه والطير تسمع منه وتدنو تمجد بلسانها عظمة الخالق سبحانه وتعالى .

---

(١) مقلاع : نبلة .

بنى العزيز :

يروى أهل الكتـاب أن طالوت حـقـد على داود بسبب حب بنى إسـرائيل له وحاربه فانتصر عليه داود. ونحن لا نطـمئن إلى هذه القصة لأن طالوت كان رجلاً صالحـاً أختـاره الله واصطفاه ليكون ملكـا على بنى إسرائيل فكيف يتـأتى منه هذه الأخلاق المذمومة .

مقتل طالوت :

تم قتل طالوت فى إحدى المـعارك ﷺ، وعاد الجيش منهزماً، واسـتقر رأى أهل الشورى وأهل الحل والعـقد فى بنى إسرائيل على تولية داود المـلك والقيادة فقاد بنى إسرائيل من نصر إلى نصر .

سليمان الحكيم :

وتولى داود المـملكة ونبأه الله سـبحـانه وتعالى وآتاه الحكم وفـصل الخطاب وفى ذات يوم كان ابنه سليمان عليه السلام قد بلغ مبلغ الشباب، ودخل على داود رجلان يختصمـان ليقضى بينهما. فقال أحدهما أن لى بسـتاناً من شجر العنب قد دخلت فيه أغنام هذا الرجل فأكلته .. وخربته. فماذا ترى فى أمرنا ؟

قال داود: نأمر أن تمتلـك أغنام الرجل وما شيته تعويضـا لك عما أصابك من الخسارة.. فقال سليمان : هل يسمح لى أبى برأى؟ أرى أن يستفيد صاحب الكرم من غنم صاحـبه فيـأخذ نتاجـها وألبانهـا ويرعاها حـتى يعود الكرم كمـا كان، ثم يترادان. أى يأخذ صاحب الغنم غنمه وصاحب البستان بستانه. فابتسم داود. وسر من حكمة سليمان وقال: حقا يا ولدى أنت سليمان الحكيم .

الوفاة :

وأدركت الشيخوخة داود تم وافاه الأجل، وقبضه الله إليه وورثه سليمان فى الحكم والملك والنبوة والحكمة .

ملك سليمان عليه السلام :

توافر لسليمان من الملك والسلطان والنعم أكثر مما أعطى والده داود عليهما السلام، وبسط عدله على كثير من بقاع الأرض. وقد تطهرت أرض فلسطين من العمالقة المشركين. وامتد سلطان سليمان إلى الجن والطير والحيوان وعلم لغة الطير والحيوان وسخر له الريح وصار الجن يعملون بين يديه ما يأمرهم به طائعين خائفين .

وكان هذا العطاء الوفير والملك العريض والجاه والسلطان والمهابة فى قلوب الخلق نعمة من الله تعالى واستجابة لدعوة سليمان عليه السلام إذ دعا ربه: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾[ص]

وكان عليه السلام يقابل تلك النعم بالحمد والشكر والثناء على الله تعالى بما هو أهله ، عارف بفضله وكرمه، مدركا أن كل ما أعطى ووهب إن هو إلا ابتلاء واختبار من الله تعالى .

فى وادى النمل :

وفى ذات يوم خرج سليمان بجيشه من الجن والإنس والطير لمقاتلة الأعداء.. قد ارتجت الأرض من كثرة عددهم وعُددهم.. ووقع أقدام الخيل يسمع لها جلبة وضوضاء إذ كانت تدك الأرض بحوافرها وتثير الغبار، فإذا نملة تهمس لأخواتها بأن يدخلوا مساكنهم فى جوف الأرض حتى لا يحطمهم سليمان

وجنوده، وسمعها سليمان وفهم لغتها فتبسم ضاحكا من قولها. واتجه ببصره إلى السماء شاكراً .

وكان هذا درس لسليمان ليتواضع لله تعالى فإنه وإن كان ملكا فإن فى عالم الحيوان والحشرات ملوك وأمم. وهذه النملة الصغيرة تعرفه وتعرف قضية النبوة والتوحيد .

هيكل سليمان عليه السلام :

وأنشأ سليمان عليه السلام معبداً يقدس فيه ربه ويعبده وأنفق فيه الأموال الطائلة وجند لبنائه آلاف العمال من الإنس والجن. فجاء آية فى الحسن والجمال ودقة الهندسة والروعة المعمارية .

سليمان والهدهد :

وتفقد سليمان الطير، فوجد مكان الهدهد فى الهواء خاليا، فقال مالى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين . وهدد بعقابه وعذابه إن لم يأتيه بحجة قاطعة يبرر غيابه . وكان الهدهد مع مجموعة من الطيور يظللون على الجيش وعلى سليمان من وهج الشمس، وكان الهدهد أيضا يبحث لجيش سليمان عن الماء فى باطن الأرض .

وجاء الهدهد.. فقال: لقد كنت فى بلاد بعيدة ، فى أرض اليمن فى مدينة سبأ وقد جئتك بنبأ (خبر) عظيم. لقد وجدت شعباً يملكهم امرأة لها عرش عظيم، وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وأبدى الهدهد أسفه وحزنه لضلال هذه الملكة وشعبها لعبادتهم غير الله تعالى . وأغواهم إلى الشيطان .

فقال سليمان (عليه السلام) سوف ننظر فيما ترى. هل أنت صادق أم كاذب.

ثم أمر بكتابة رسالة إلى بلقيس، يدعوها وقومها إلى الإيمان بالله ، وترك ما يعبدون من دونه ، وينذرهم إن لم يأتوه مسلمين أن يأتيهم بجيش لا طاقة لهم بقتاله ولا رده .

وحمل الهدهد الرسالة. وطار بها ، ثم أتى إلى قصر بلقيس ووقف على نافذة مخدع بلقيس وألقى الكتاب على سريرها فحملت بلقيس الكتاب وقد فوجئت به وهالها مضمون الرسالة فجمعت أهل مشورتها وكبار رجال دولتها وقالت لهم: ألقى إلى كتاب مرسل من سليمان قد صدره باسم الله الرحمن الرحيم يدعونا فيه إلى الإسلام فأفتونى فى هذا الأمر وأشيروا إلى ، ما كنت أتخذا قراراً دون الرجوع إليكم، فقالوا نحن أولى قوة وأولوا بأس شديد والأمر إليك فانظرى ماذا تأمرين .

قالوها غروراً وكبرا غير مقدرين لعواقب الحرب وتبعاتها .

وكانت هى عاقلة ذات خبرة فى أمور السياسة والحرب فقالت لهم إن الملوك إذا دخلوا بلداً فاتحين أذلوا أعزة أهلها وأرى أن نرسل هدية إلى سليمان لنختبر صدق تهديده ولعله يقبلها نظره عن قتالنا .

الهدية :

وصلت هدية ثمينة من بلقيس إلى سليمان وعرضت عليه. فرفضها وغضب ﴿قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾﴾

[النمل]

وقال لرسول بلقيس: ﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [النمل]

عرش بلقيس يحمل إلى سليمان :

وأراد سليمان عليه السلام أن يتبع تهديده لبلقيس بحدث يكون شديد الوقع

على نفسها وشعبها والملأ من قومها، فتذعن للحق وتسلم له. فقال لجنده من الجن: أيكم يستطيع أن يأتينى بعرشها قبل أن تحضر إلينا. فقال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك.. ثم قال الذى عنده علم من الكتاب: أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك وينطبق جفنك وفى أقل من ثانية كان العرش بين يدى سليمان عليه السلام فقال: ﴿هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [النمل]

يقول بعض المفكرين المعاصرين إن نقل عرش بلقيس تم بطريقة تعرف بتحويل المادة إلى طاقة وإعادة تحويل الطاقة إلى مادة.

ويرى بعض المفسرين أن سليمان عليه السلام هو الذى أتى بالعرش فى غمضة عين كمعجزة من الله تعالى له. والله أعلى وأعلم .

عرض العرش على بلقيس :

وحضرت بلقيس إلى قصر سليمان فى فلسطين فاستقبلها ورحب بها، وأكرم وفادتها، ثم سألها أهكذا عرشك ، وكان قد غير بعض معالمه فقالت: كأنه هو .

إسلام بلقيس بين يدى سليمان :

ثم دعاها سليمان لدخول القصر، فلما قاربت بهوه الواسع. والذى حمرت أرضه بالبلور الصافى، فبدا الصرح كبركة ماء صافية.. كشفت عن ساقيها خشية أن يبتل ثوبها بالماء الذى توهمته.. فقال لها سليمان إنه صرح حمر ومن قوارير.. وبدأت بلقيس تراجع نفسها.. لقد وقعت فى أكثر من موقف كشف عن جهالتها أمام علم سليمان وعن ضعفها أمام قوته، وضعف سلطانها أمام سلطانه .

وأدركت أن كل ذلك من عند الله تعالى. قد أوتيه سليمان من فضل الله.

فقالت: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾

[النمل]

وفاة سليمان عليه السلام :

بعد عمر مديد وملك واسع وسلطان كبير وحضارة عظيمة وانتصارات رائعة قضى سليمان نحبه وأدركته الوفاة وهو على كرسى حكمه يشرف على أعمال الجن وهم يحسبونه على قيد الحياة ولا يجرأ واحد منهم على الاقتراب منه لفرط هيبته حتى أكلت الأرضة[1] عصاه التى يتكأ عليها فخر إلى الأرض وهوى فأدرك الجن أن قد مات عليه السلام ولو كانوا يعلمون الغيب ما غاب عنهم خبر موته ولما ظلوا يعملون فى الأعمال الشاقة خوفا وهلعا وهم يحسبونه حياً .

---

(١) الأرضة : حشرة كالسوس تنحر فى الخشب وتفتته .

زكريا ويحي وعيسى عليهم السلام

قال تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء]

وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [آل عمران]

تتصل قصص حياة أنبياء الله تعالى «زكريا» و«يحي» و«عيسى» عليهم السلام. حيث كانوا متقاربين زمنيا وتربط بينهم صلة القرابة وكانوا فى بلد واحد وأرسلوا إلى شعب واحد هو شعب بنى إسرائيل .

وكان زكريا عليه السلام يكفل مريم عليها السلام أم نبى الله عيسى عليه السلام وكان يحي ابن خالة لعيسى ومبشراً ببعثته . عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام .

دعاء زكريا عليه السلام :

كان زكريا عليه السلام زوجا لخالة مريم واسمها اليصابات، وكانت أم مريم زوجة لرجل صالح اسمه عمران من أكابر علماء بنى إسرائيل، وبعد سنين طويلة

حملت أم مـريم بها فنذرت أن يكون ما فى بطنـها محرراً خـالصا لخدمـة الهيكل (خدمة بيت المقـدس) وتوفى عمران وزوجه حامل بمريم ، فلما وضعـتها. قالت متحسـرة : إنى قد وضعتها انثى.. وكنت اتمنى ذكراً يخـدم بيت الله.. فأجيبت بأن ربها قد تقبلهـا بقبول حسن، وسوف ينبتها نـباتا حسناً. ولعل هذا الوحى كان إلى زكريا عليه السلام فأبلغه إلى أم مريم.

زكريا عليه السلام يكفل مريم :

وتنازع علمـاء بنى إسرائيـل أيهم يكفل مريم وكل منـهم يرغب فى كفـالتهـا لأنها بنت كبـيرهم ومن أسرة كريمة طيبـة، فأجروا قرعة بالقاء إقـلامهم فى الماء فطفا قلم زكريا عليه السلام وتولى كفالتهـا. وكان كلما دخل عليها المحراب بعد أن بلغت مبلغ الشباب وصارت تخدم بـيت المقدس وجد عندها رزق حيث يجد فاكهة الصيف فى الشتاءوفاكهـة الشتاء فى الصيف. لما كان زكريا يسألها انى لك هذا تقول هو من عند الله إن الله يرزق مـن يشاء بغير حـساب . وكانت مـريم تفرغ وقتها للعبادة ولا تعرف من شئون الناس إلا قليلا .

دعاء زكريا عليه السلام :

!!رأى زكريا عليه السلام عطاء الله تعـالى لمريم والكرامات التى جرت على يديها من توافر فاكـهه الصيف فى الشتاء وفاكهه الشـتاء فى الصيف ووجودها بين يديهـا دون أن تخـرج من الهـيكل، لفـتـه ذلك إلى دعـاء الله سبـحـانه الذى بيـده الأسباب والمسببات وفى قدرته تعطيل القـوانين والنواميس وتغيير قوانين الأشياء وقدرته تعالى أن يرزق الشيخ الطاعن فى السن والمرأة العاقر العجوز ابناء. فتوجه إلى الله تعالـى بالدعا: ﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن**

لَدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦﴾ [مريم]

وبعد أن وصف كبره وشيخوخته وضعفه وصدق رجائه لله تعالى: وأنه يخشى ضياع الذرية وفقدانها ويخشى ممن يرثونه من أبناء العمومة ألا يكونوا على مستوى الدعوة والإخلاص لها سأله ولداً من صلبه وشكى له عقم زوجته . وطلب أن يكون الولد رضيا في سلوكه وأخلاقه، وأن يكون قدوة للناس ليحمل أعباء الرسالة بعده. استجاب الله تعالى له برحمته وفضله فقال تعالى:

﴿يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا ۝٧﴾ [مريم]

البشارة :

لما تلقى زكريا عليه السلام تلك البشارة وأبلغه إياها الملك جبريل وفحوى البشارة أن امرأته سوف تكون صالحة للإنجاب، وأنها ستلد غلاماً يسمونه «يحيى» ولم يعهد اسمه في البشرية من قبل وفوجئ زكريا عليه السلام بذلك رغم أنه سبق ودعا ربه وطلب مضمون تلك البشارة قال: **﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ۝٨﴾**

[مريم]

وجاءه الجواب على الفور يذكره بأمر الله وقدرته فقال تعالى: **﴿قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ۝١٠﴾** [مريم]

فخرج زكريا من المحراب (مكان العبادة) فرحاً مسروراً سعيداً فدعا الناس إلى تقديس الله سبحانه وتسبيحه آناء الليل وأطراف النهار .

يحيي عليه السلام

وحملت اليصابات زوج زكريا ثم وضعت وجاءت البشرى من الله تعالى بنبوة يحي وهو لا يزال رضيعا فى المهد، طفلا رضيعا ﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾﴾ [مريم]

وكان يحي عليه السلام قرة عين لوالديه ونبئ وهو ابن ثلاث عشرة سنة وكان رحيما بأبويه باراً بهما صالحاً تقـيا سلمه الله تعالى يوم ولد ويوم مات وسليمه يوم القيامة. وقتل يحي عليه السلام شهيداً فكان معنى اسمه الحياة الدائمة لأن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون فـجمع بين مقام النبوة ومقام الشـهادة. قتله ملك فلسطين من قبل الرومـان استجـابة لرغبة إمـرأة فاجرة. فـانتقم الله منهم ومـمن رضى بقتله وسلط على بنى اسـرائيل جبـارا يسـمى بخـتنصر قـتل رجـالهم وسـبى نسـائهم وأطفالهم وأخذ معه الأطفال والنساء إلى بابل .

حمل مريم بعيسى عليه السلام :

كانت مريم عليها السلام قد بلغت غايـة الصفاء والطهارة والتقوى فاصطفاها (اختارهـا) الله تعالى لتكون آية للعالمين وكـذلك جعل ابنها آية للعـالمين للدلالة على قدرة الله تعـالى، فأرسل إليهـا جبريل عليه السـلام فظهر لها فى صـورة بشر، فخافت منه وذعرت خشية أن يمسها بسوء وهو منفرد بها وقالت: ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ

بالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ ﴾ [مريم] إى إن كنت تقياً فلا تقربنى ولا تمسنى بسوء . فطمأنها وهدأ روعها. وقال لها ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ ﴾ [مريم] فازداد خوف مريم وعاودها اضطرابها ، وقالت: ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ ﴾ [مريم] فأجابها جبريل عليه السلام ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ﴾ [مريم]

ونفخ جبريل فى جيب قميصها (الجيب فتحة القميص من عند الرقبة) فكان الحمل، ولما بدأ بطنها ينتفخ قليلاً ابتعدت عن أعين الناس، وانتحت من أهلها مكانا بعيداً شرقى بيت المقدس. وراحت تفكر فى هذا الأمر العجيب الذى طرأ عليها. وتقول فى نفسها: ماذا سيقول الناس عنى؟ ولم ينقطع أملها فى الله وأملها أن يبرئها أمام الناس .

المخاض (الطلق ـ آلام الولادة) :

لما أحست مريم عليها السلام بآلام المخاض بعد فترة من الحمل . تمنت الموت قبل هذا اليوم ، خوفا من الفضيحة وأن يظن الناس بها السوء لأنها حملت من غير زواج: ﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ ﴾ [مريم] ويقل لها: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ﴿٢٦﴾ ﴾[مريم]، فلما وضعت طفلها عيسى عليه السلام واصبحت مضطرة لمواجهة الناس قيل لها: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ ﴾ [مريم]

المواجهة :

لما حملت مريم طفلها فى لفافة وأتت به قومها، فوجئوا بهذا المشهد، وظنوا بها السوء والفحشاء فقالوا لها لقد ارتكبت يا مريم إثما عظيما، وجئت شيئاً فرية (والفرية هى الكذب والزور) كنا نراك فى طهارة الأنبياء ونشبهك بهارون أخى موسى.. وما كان أبوك يخادن النساء ولا كانت أمك تتعاطى الدعارة . فبمن تتشبهى .

وظلت مريم ساكتة ثم أشارت إلى الطفل.. فتعجبوا منها واستنكروا أن تحيلهم إلى طفل رضيع ليتولى الجواب عنها ، ينطق عيسى عليه السلام فى المهد بقدرة الله تعالى :

كلام عيسى عليه السلام فى المهد :

﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (٣٣)﴾ [مريم]

لقاء عيسى ويحي :

والتقى عيسى يحي ذات يوم عند نهر الشريعة . وكان يحي قد بلغ مرحلة الرجولة وعيسى عليه السلام لا يزال فتى يافعا .. ثم إن يحي أخذ يبشر الناس بنبوة عيسى وهدايته لبنى إسرائيل على شريعة الله تعالى. وكان يحي عليه السلام شديداً فى احكام الله، لا يتهاون ولا يتراجع عن حكم أنزله الله تعالى . كما كان عزوفا عن المجتمعات، يألف البرارى والقفار. يقتات من نباتها، وثمارها ويشرب من جداولها وعيونها، وكان أكثر طعامه العسل والجراد. ولما أفتى بحرمة زواج

هيرودس ملك بيت المقـدس من ابنة أخيه أى حرمة زواج العم من ابنة أخـيه كان ذلك سبباً فى قتله .

قيل إن هيـرودس كان يقضى كل يوم حـاجة لابنة أخيـه فطلبت منه بناء على مشورة امها أن يأتيها برأس يحـي وقيل إنها اسكرته ثم طلبت منه ذلك. فأمر بقتل يحي وأن يأتوه برأسه فى طست ففعل من غير رادع من خلق ولا ضمير .

عيسـى والحـواريون :

بلغ عيسى أشـده، واتخذ له تلامذة من اتباعه يبـشرون بدعوته ، ويرسلهم إلى الناس برسائله. ولقد ظهرت على يده (عليه السلام) معجزات كثيرة لتكون للناس آية (علامة) على صدقه ليتبـعوه ، فأبرا الأكمه (الذى ولدأعمى) والأبرص (مرض جلدى) بإذن الله وأحي بعض الموتى بإذن الله .

جيء له بأبرص قد انتـشر الداء فى كل جسـمه، فمسـحه بيده ودعا له فـبرئ. وجئ له بأكمـه.. أخرس أطرش، فمسحـه ودعا له، فبرئ (شـفى). وطلب إليه أن يسعف اليعـازر، فجاءه فإذا هو ميت، فمـسحه ودعا له، فعـاد حيًا.. وطلب منه أن يرد سام بن نـوح إلى الحياة فـفعل بإذن الله تعـالى فطلبوا منه أن يتـبعـهم سام إلى بيوتهم فقال لهم كيف يتبعكم من لا مـال رزق له. وكان سام قد ظن أن القيامة قد قامت لما ناداه عيسى عليه السلام ليخرج من قبره .

وكان عليه السلام ينبئ الناس بما يأكلون وما يدخرون فى بيوتهم.

عيسـى فـى مـواجـهـة الـفـريسـيين :

وهم طائفـة من أحـبار (علمـاء) اليـهود. مـن بنى إسرائيل كـذبوه فى دعـوته وناصبوه العـداء، ووشوا به عند الحاكم الرومانى بيلاطس، بأنه يقـول كلاما يمس أمن الإمبراطورية الرومانية. فكشف لهم عن حقـيقتهم وتزويرهم وكذبهم وحبهم

للدنيا وتفضيلها على الآخرة وأمرهم الناس بالمعروف ولا يأتونه ونهيهم الناس عن المنكر ويأتونه وغير ذلك من خصالهم الذميمة .

الإنجيل :

وكان الله تعالى قد أوحى إلى عيسى ابن مريم بالأنجيل مصدقا لما بين أيدى الناس من التوراة، توراة موسى. لا التى حرفها اليهود من بعد موسى. وبشر الله تعالى فى الإنجيل بنبى يأتى من بعد عيسى اسمه أحمد هو خاتم النبيين. وكان فى الإنجيل حكم واحكام وشرائع، وفيه هدى ونور .

المؤامرة على قتل عيسى :

أعطى الحاكم الرومانى أوامره بالقبض على عيسى عليه السلام وصلبه جزاءً وعقابا له على ما دعاه عليه الفريسيون ، فارتاحت نفوسهم لذلك.

ولما كان قائد شرطة المدينة لا يعرفه قيل له كلف يهوذا الإسخريوطى بأن يدله عليه لقاء مبلغ زهيد من المال .

وقيل إن عيسى عليه السلام هو الذى طلب من تلامذته أن يختار أحدهم أن يلقى عليه شبهه ويصلب ويكون رفيقه فى الجنة فاختار ذلك شاب من الحواريين هو اصغرهم . وهذا هو الذى نطمئن إليه ونحسن الظن بتلاميذ المسيح ﷺ .

ولعلك يا بنى العزيز تسأل؟ وكيف دخل الشرك إلى دين النصرانية حتى اتخذوا عيسى إلهاً من دون الله تعالى، وحتى قالت فرقة هو إبن الله وفرقة قالت إن الله ثلاثة، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

فإن سبب هذا الشرك الذى دخل إلى دينهم أن علماءهم كانوا يتقبلون أن يجمع إنسان بين الشرك والنصرانية على أمل أن يتخلص من الشرك بمرور الوقت

ولكن الذى حدث أن المشركين أثروا على النصارى الموحدين وجروهم إلى الشرك .

وكان للرومان إمبراطور وثنى دخل فى النصرانية وقلبه معلق بالأوثان فقرر عقائد الشرك على النصارى وأيده فى ذلك عدد كبير من علماء النصارى فى أحد المحافل التى عقدها واضطهد العلماء الموحدين.

وعقيدة الصلب والفداء وهى أن الإله أرسل ابنه ليصلب ويقتل فداء لخطيئة آدم هذه العقيدة مأخوذة من الهند واليونان والأمم الوثنية القديمة. وذلك مذكور فى كتب التاريخ وكتب الملل والنحل .

رفع عيسى إلى السماء :

لما حضر القائد الرومانى إلى المكان الذى فيه عيسى ألقى الله تعالى شبهه على يهوذا أى ألقى شبه عيسى على يهوذا فحملوه وهم يظنون أنه عيسى، وساقوه إلى جبل حال فى بيت المقدس، واحتشد الناس ليروا عملية الصلب، وصلبوا هذا الرجل بدلا من عيسى .

قال تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٥٨)﴾ [النساء]

تم بحمد الله،

الفهــــرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
آدم عليه السلام	٥
أمر الله الملائكة بالسجود لآدم	٧
ادم وحواء فى الجنة	٩
أول أسرة بشرية فى الأرض	١١
أول قتيل فى التاريخ	١٤
شيث عليه السلام	١٦
إدريس عليه السلام	١٨
نبوة إدريس عليه السلام	١٨
ما اختص الله به ادريس	١٨
نوح عليه السلام	٢٠
دعوة نوح عليه السلام إلى الله	٢٠
دعاء نوح عليه السلام على قومه	٢٣
نوح عليه السلام يصنع الفلك بأمر ربه	٢٤
الطوفان	٢٥
هود عليه السلام	٢٧
ارسال هود عليه السلام إلى عاد	٢٨
صالح عليه السلام	٣١
دعوة صالح عليه السلام	٣٢
طلبهم للمعجزة	٣٢

أبو الأنبياء أبراهيم عليه السلام ٣٥
ابراهيم عليه السلام يحطم الاصنام ٣٨
الهجرة ٤٠
الرحلة إلى مصر ٤١
لوط عليه السلام ٤٣
اسماعيل عليه السلام ٤٦
هاجر المؤمنة ٤٧
دعاء إبراهيم ٤٧
البلاء المبين ٥٠
الفداء ٥١
إسحاق عليه السلام ٥٢
مولد اسحاق عليه السلام ٥٤
اعادة بناء الكعبة ٥٥
دعوة اسحاق بنبوة يعقوب ٥٧
يعقوب عليه السلام ٥٨
يوسف عليه السلام ٥٩
رؤيا يوسف ٥٩
المؤامرة ٦٠
يوسف فى السجن ٦٤
رؤيا الملك ٦٦
خروج يوسف من السجن وتوليه الوزارة ٦٧
شعيب عليه السلام ٧٥
أيوب وذو الكفل عليهما السلام ٨٠
الابتلاء العظيم لأيوب ٨١
رفع البلاء عن أيوب عليه السلام ٨٢
ذو الكفل عليه السلام ٨٣

ذو النون يونس بن متى عليه السلام ٨٧
تسبيح يونس فى بطن الحوت ٨٩
موسى وهارون عليهما السلام ٩٠
النبوة ٩٧
موسى وسحرة فرعون ١٠٠
فى أرض سيناء ١٠٣
داود وسليمان عليهما السلام ١٠٨
طالوت وجالوت ١٠٩
سليمان الحكيم ١١١
زكريا ويحي وعيسى عليهم السلام ١١٧
زكريا عليه السلام يكفل مريم ١١٨
يحي عليه السلام ١٢٠
كلام عيسى عليه السلام في المهد ١٢٢
رفع عيسى إلى السماء ١٢٥
الفهرس ١٢٦